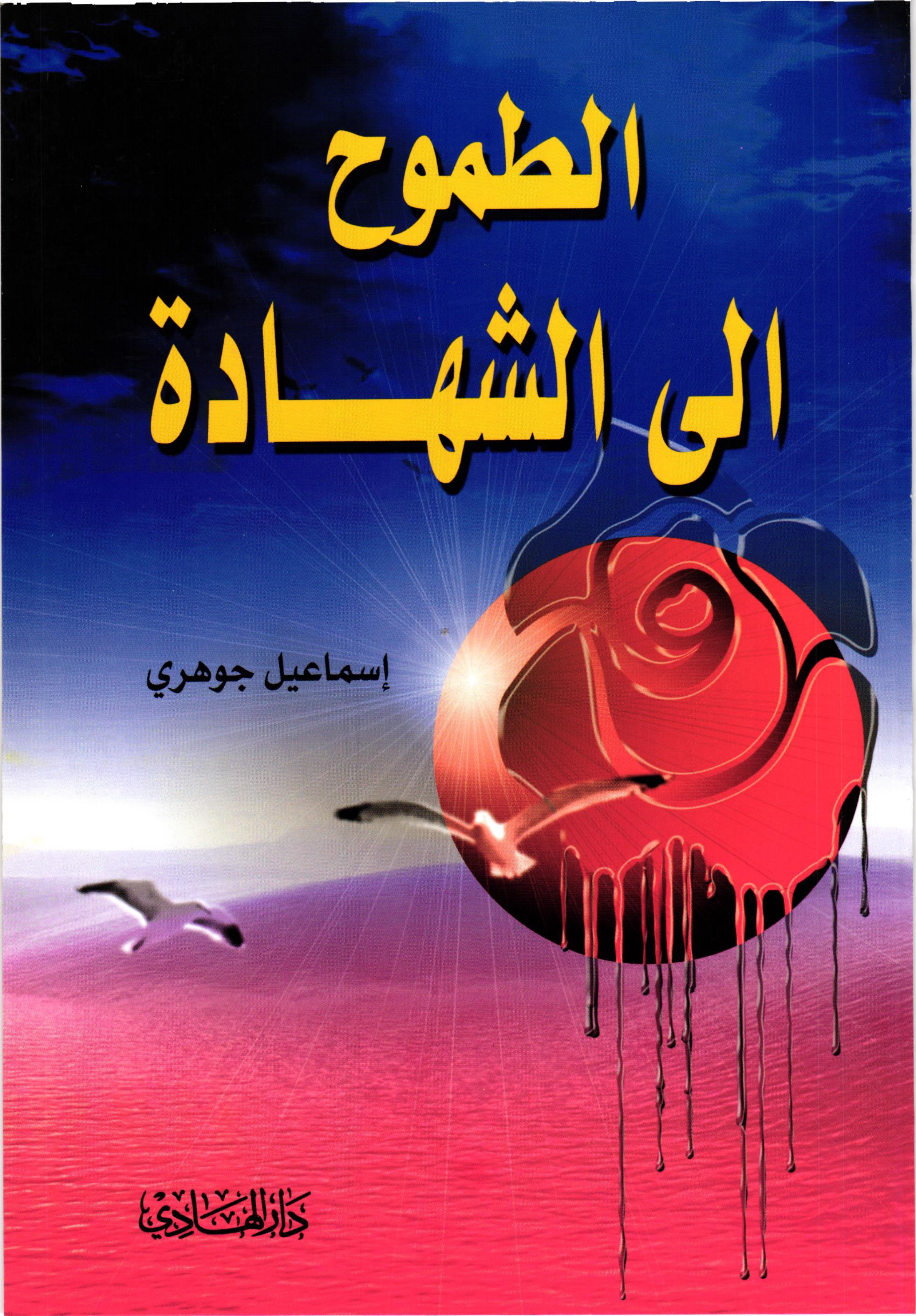
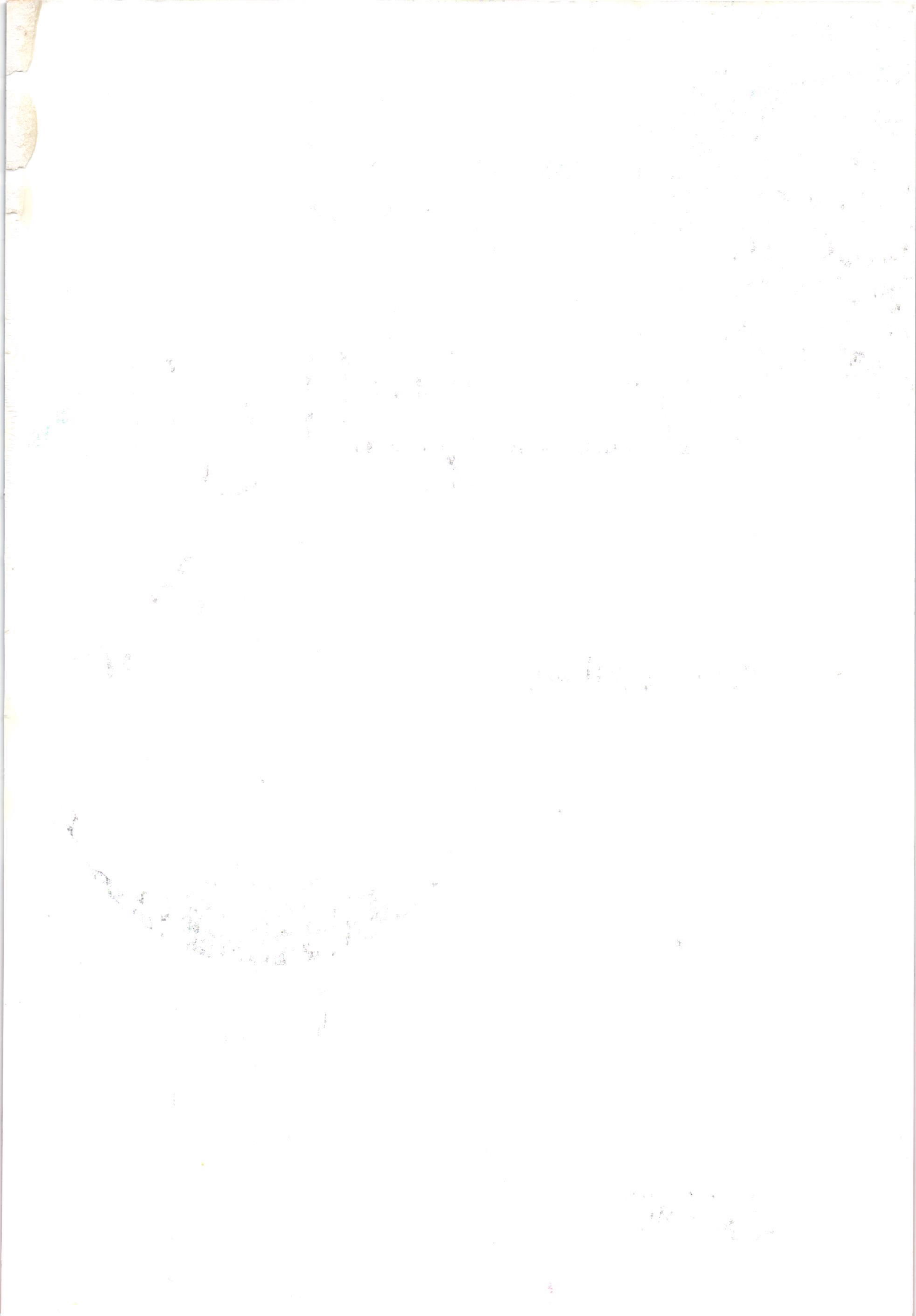

الطموح
الى الشهادة
إسماعيل جوهري
دار الهادي



الطموح إلى الشهادة

تأليف: اسماعيل جوهري
ترجمة زهراء يگانه



الطَّبعَةُ الأُولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من كلام للإمام الخميني (ره) حول فضيلة الشهيد

«.. إنني عندما أشاهد هؤلاء الشباب الأعزاء وهم في عنفوان الشباب، ينوحون وهم يسألونني أنا، المتخلف (عن ركبهم)، أن أدعو لهم بالشهادة، يخامرني الشعور بالخيبة من نفسي وبالخجل منهم وبالغبطة عند التأمل في الصور العديدة لهؤلاء الشهداء اليافعين ـ الذين أفاض الله على سيمائهم بنوره ـ وفي قيمهم الإنسانية ومكانتهم الإلهية التي بعدت، أنا ذاتي، عنها بدرجات. ويداهمني الإحاس بالنقص عندما ألتقي بأمهات وآباء هؤلاء الشباب والناشئةالمستشهدين وأرىٰ فيهم تلك المواقف الباسلة والكريمة التي تنأى عن حدود التصور، ولوجود مثل هذه الأمة وهؤلاء الأتباع الملتزمين المجاهدين أتقدم بالتهاني إلى نبي الإسلام العظيم ﷺ وبقية الله (روحي لمقدمه الفداء) وبالشكر والامتنان إلى الله سبحانه وتعالى ولي النعم وحافظ الأمم. واليوم يهنأ الإسلام المبجل بثمار هذه التضحيات والشهادات...».

فـــإن تكـن الدنـيا تـعد نـفيسة

فـــدار ثـواب الله أعـلىٰ وأنــبل

وإن تكن الأبدان للموت انشئت

فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وإن تكن الأموال للترك جـمعها

فما بال متروك بـه الحـر يـبخل

وإن تكـــن الأرزاق قســمامقدّراً

فقلة حرص المرء في الرزق أجمل[1]

---

١ ـ عن الإمام الحسين (ع) أنشدها وهو يمضي نحو كربلاء.

المقدمة:

تحظى الشهادة في سبيل الله، من وجهة نظر الدين الإسلامي المبين، بمكانة سامية وأهمية بليغة. إنه لمن الروعة أن أولياء الله ونخبته الصالحة، من أمثال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه كالإمام أبـي عـبد الله الحسين عليه السلام والإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام و...، كانوا يطمحون للفوز بالشهادة في سبيل الله. ولنا على هذا الصعيد أن نستدل على ذلك بمثال واحد فنشير إلى عبارة من كلام نطق به الإمام السجاد عليه السلام، إذ قال:

«أبالقتل تهددني يابن مرجانة، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة»[1].

يتبين لنا من خـلال سـيرة وأحـاديث أصـحاب المـعصومين عليهم السلام

---

١ ـ منهاج الدموع، ص ٣٧٢.

وأنصارهم أيضاً طموحهم لنيل الشهادة. وسنأتي لاحقاً في هذا الكتاب على نماذج منها دليلاً على ما ذهبنا إليه من قول وأكدنا عليه من رأي.

وفي مختلف أطوار الثورة الإسلامية في إيران كذلك كان أنصار الإسلام بدءاً بالناشئة وحتى الشيب والشباب، كانوا جميعاً ـ وكما يتبين من وصاياهم ـ يرنون لنيل مثل هذه المكانة، وتتلخص هذه الوصايا والآمال في كلام الإمام الخميني (قدس سره الشريف) الذي سلفت الإشارة إليه: إنني عندما أشاهد هؤلاء الشباب الأعزاء في عنفوان الشباب ينوحون وهم يسألونني أنا، المتخلف (عن ركبهم) أن أدعو لهم بالشهادة، يخامرني الشعور بالخيبة من نفسي وبالخجل منهم..».

من ناحية أخرى، نؤكد في شأن الشهادة وفضيلتها على هذه النقطة الهامة وهي أن ظاهرة الشهادة كانت ستحتفظ بمكانتها السامية فوق جميع مظاهر الحياة البشرية حتى وإن كان التاريخ البشري لم يشهد في مختلف مراحله حدوثها لأكثر من مرة واحدة، أي في حالة كون هذا التاريخ لا يتضمن سوى شهيدا واحد، فكيف بها (الشهادة) وقد انضم إلى سلكها، على مر القرون والدهور، قوافل رواد الشهادة التي انتمىٰ إليها من أنزه أبناء آدم عليه السلام ما يتجاوز الملايين منهم تتقدمهم شخصيات بارزة من قبيل الحسين بن على عليه السلام وغيره من عظماء أعضاء نادي الحب الإلهي.

إن تبيين كنه مثل هذا الموضوع الهام أمر يخرج عن طاقة أمثالي، ولكنني عزمت على جمع ما رأيته يفي بالغرض من نصوص مروية عن المعصومين الأطهار عليهم السلام وأنصارهم الأخيار (رض) مما يوضح لهفتهم وطموحهم للفوز بالشهادة وفضيلتها ولحيازة شأن الشهيد، في هذا

الكتاب، على أمل أن ينهل منه القراء الفائدة والرشاد، فجاء هذا المؤلف في أربعة فصول: عنوان الفصل الأول «الطموح للفوز بالشهادة في أحاديث المعصومين عليهم السلام»، والفصل الثاني «الطموح للفوز بالشهادة في كلام أنصار المعصومين عليهم السلام، ويتضمن هذا الفصل (٢٧) حكاية تاريخية على هذا الصعيد.بينما يتطرق الفصل الثالث لفضيلة الشهيد ومكانته كما تنص عليها الأخبار والروايات، ويتناول الفصل الرابع موضوع فضيلة الشهيد ومكانته في القرآن، بالبحث.

المؤلف



قال الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبوراً وودّع مجرما
أقدم نفسي، لا أريد بقاءها
لتلقىٰ خميساً في الوغى وعرموما

«إن الشهادة في سبيل الإسلام والله وعلى نهج إمام الأمة طموحنا وغايتنا»

الشهيد بهشتي (رض)

الفصل الأول

الطموح للفوز بالشهادة في أحاديث المعصومين (ع)

الطموح إلى الشهادة في كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع):

١ ـ في كتابه عليه السلام للأشتر لما ولّاه مصر:

«وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العُذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إليه راجعون، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين»[١].

٢ ـ وفي دعاء له عليه السلام عندما تأهب الناس للقتال قبيل معركة صفين، أنه قال بعد أن استقبل القبلة:

---

١ ـ نهج البلاغة، الكتاب (٥٣).

«.. إن اظفرتنا على عدونا فجنبنا الكبر وسددنا للرشد وإن أظفرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقية أصحابي من الفتنة»[1].

٣ـ«.. فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية، لأحببت أن لا أبقىٰ مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً»[2].

٤ـ والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو، ولو قد حُمَّ لي لقاؤه لقرّبت ركابي ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم، ما اختلف جنوب

١ـ الصحيفة العلوية، ص ٣٠٥ وقد جاء في الخطبة (١٦٠) من نهج البلاغة:

«اللهم رب السقف المرفوع، والجو المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم السيارة، وجعلت سُكانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومُدرجاً للهوام والأنعام، وما لا يحصىٰ مما يرىٰ وما لا يرىٰ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق اعتماداً، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة».

٢ـ ميزان الحكمة، المجلد (٥)، أما في نهج البلاغة، الكتاب (٣٥) فقد جاء:

«إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر:

أما بعد، فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر «رحمه الله» قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً وبدءاً فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً. أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية، لأحببت أن لا أبقىٰ مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً».

وشمال[1].

٥ ـ ومن مدلولات استبشاره عليه السلام بنبأ شهادته وثنائه على الله على الفوز بها:

... فقلت يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أُحد[2] حيث

---

١ ـ من كلام له (ع) وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام:

أمخرسون أنتم؟

ـ فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين! إن سرتَ سِرنا معك، فقال (عليه السلام):

ما بالكم لا سُددتم لرشد، ولا هُديتم لقصد. أفي مثل هذا ينبغي لي ان أخرج؟ إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرىٰ، أتقلقلُ تقلقل القِدح في الجفير الفارغ، وإنما أنا قطب الرحى، تدور عليَّ وأنا بمكاني، فإذا فارقته استحار مدارها، واضطرب ثِفالها. هذا ـ لعمر الله ـ الرأي السوء!! والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو ـ ولو قد حُمَّ لي لقاؤه ـ لقرَّبت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال، طعّانين، عيّابين، حيّادين روّاغين. إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم. لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلّا هالك، من استقام فإلى الجنة، ومن زل فإلى النار! (الخطبة ١١٩ من نهج البلاغة).

توضيح: الثِّفال هو جلد يبسط فتوضع عليه الرحى.

٢ ـ أُحد: جبل يقع بالقرب من المدينة على طريق الشام، قاتل فيه المسلمون كفار قريش في غرة شوال من العام الهجري الثالث فدفن عنده سيد الشهداء حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وآخرون من شهداء أُحد.

استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عني الشهادة فشقّ ذلك علي، فقلت لي: «أبشر فإن الشهادة من ورائك»؟ فقال لي: «إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً». فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرىٰ والشكر[1].

---

١ ـ جاء هذا الكلام في الخطبة (١٥٣) من نهج البلاغة في رده (ع) عندما قام إليه رجل وقال: أخبرنا عن الفتنة؟ وهل سألت عنها رسول الله (ص)؟ فقال (ع):

لما أنزل الله سبحانه قوله: «ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»، «ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»*، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (ص) بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟

فقال: «يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي».

فقلت: يا رسول الله! أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين* وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك علي فقلت لي «أبشر فإن الشهادة من ورائك»؟

فقال لي: «إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً»؟

فقلت: يا رسول الله! ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر.

وقال: «يا علي! إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الناهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع».

فقلت: يا رسول الله، بأي المنازل أُنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟

فقال: «بمنزلة فتنة».

←

٦ ـ ومن كلام له عليه السلام يبين أنه يعتبر القتل في سبيل الله أكرم الموت:

«إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله»(١).

«علي (ع) يقسم بأنه يحب الشهادة»

٧ـ «فوالله إني لعلى الحق واني للشهادة لمحبّ»(٢).

«علي (ع) يدعو الله أن يرزقه الشهادة»

٨ ـ وفي دعاء له عليه السلام خلال معركة صفين وقبل وضع المصاحف على الرماح:

«وارزقني شرف القتل في سبيلك، أنصرك وأنصر رسولك، اشتري به الحياة الباقية بالحياة الدنيا وأغنى بمرضاة من عندك. اللهم إني أسألك قلباً سليماً ثابتاً حفيظاً منيباً يعرف المعروف فيتبعه وينكر المنكر فيجتنبه، لا فاجراً ولا شقياً ولا مرتاباً.

يا باسط اليدين بالرحمة، يا من سبقت رحمته غضبه! أسألك أن تجعل

← * سورة العنكبوت، الآيتان (١ و ٢).

* بلغ عدد الشهداء في أُحد (٧٠) شهيداً.

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (٧)، ص (٣٠٠).

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (٦)، ص ٩٩.

حياتي زيادة لي في كل خير واجعل الوفاة نجاة لي من كل شر واختم لي عملي بالشهادة، ياعُدتي في كربتي، ويا صاحبي في حاجتي، ووليي في نعمتي، أسألك أن ترزقني شكر نعمتك، وصبراً على بليتك، ورضىً بقدرك، وتصديقاً بوعدك، وحفظاً لوصيتك، وورعاً وتوكلاً عليك، واعتصاماً بحبلك، وتمسكاً بكتابك، ومعرفة بحقك، وقوة في عبادتك، ونشاطاً لذكرك ما استعمرتني في ارضك، فإذا كان ما لا بد منه الموت فاجعل منيتي قتلاً في سبيلك بيد شر خلقك، واجعل مصيري في الأحياء المرزوقين(١) عندك في دار الحيوان»(٢).

علي (ع) ودعاؤه للفوز بالشهادة:

كان عليه السلام يدعو الله قائلاً:

٩ ـ «اللهم إنك أعلمت سبيلاً من سُبلك فجعلت فيه رضاك وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندنا ثواباً وأكرمها لديك مآباً وأحبها إليك مسلكاً ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليك حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن فاجعلني ممن اشترىٰ فيه منك نفسه ثم وفىٰ لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدل تبديلاً إلّا استنجازاً لموعدك واستحباباً

---

١ ـ يشير الإمام (ع) في هذه العبارة إلى الآية ١٦٩ من سورة آل عمران: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون».

٢ ـ الصحيفة العلوية، ص ٣١٦.

لمحبتك وتقرباً إليك»[١].

فصل على محمد وآله واجعل خاتمة عملي ذلك، وارزقني لك وبك مشهداً تُوجب لي به الرضا وتحط عني به الخطايا واجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العُداة العصاة تحت لواء الحق وراية الهُدىٰ ماضياً على نصرتهم قُدُماً غير مول دُبراً ولا مُحدثٍ شكاً وأعوذ بك عند ذلك من الذنب الُمحبط للأعمال»[٢].

منزلة الموت عند علي (ع):

١٠ ـ«إن الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في يوم شديد الحر من ذي عطش الصدىٰ»[٣].

علي (ع) يستفسر عن سلامة دينه عند قتله

١١ ـ يروي الإمام عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحدثهم عن رمضان وفرائض المسلمين فيه، ثم بكى فسأله عليه السلام:

يا رسول الله ما يبكيك؟

فقال صلى الله عليه وآله: يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر كأني بك وأنت

١ ـ تهذيب الأحكام، المجلد (٣)، ص (٨٢).
٢ ـ الصحيفة العلوية، ص ٣٣٥.
٣ ـ سفينة البحار، المجلد (٢)، ص ٥٥٣.

تصلي لربك، وقد انبعث أشقى الأولين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله! وذلك في سلامة من ديني؟

فقال: في سلامة من دينك[١].

توق أمير المؤمنين (ع) للموت ولقاء الله:

١٢ ـ وإني إلى لقاء الله لمشتاق[٢].

١٣ ـ والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه[٣].

١٤ ـ والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه[٤].

١٥ ـ وعنه عليه السلام لما ضربه ابن ملجم:

---

١ ـ روضة المتقين، المجلد (٣)، ص (٢٧٧).

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة (٦٢).

٣ ـ بحار الأنوار، المجلد (٢)، ص (٥٥).

٤ ـ سفينة البحار، المجلد (٢)، ص٥٥. وقد جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (١)، ص ٢١٣: «.. فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت، هيهات! بعد اللتيا والتي!! والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الصبي بثدي أمه».

«فزت ورب الكعبة»[1].

الشهادة منتهى أمل الإمام علي (ع):

١٦ ـ وعنه عليه السلام بعد ما ضربه ابن ملجم:

«والله ما فجأني من الموت واردٌ كرهته ولا طالع أنكرته وما كنت إلّا كقارب ورد وطالب وجد»ى[2].

«تألق حياة أمير المؤمنين (ع) في أروع مراحلها»

استغرقت أروع مراحل حياة أمير المؤمنين عليه السلام ما يناهز (٤٥) ساعة من عمره الشريف الذي ينقسم إلى المراحل التالية:

١ ـ المرحلة الأولى، وتتضمن فترتين:

أ ـ الفترة منذ الولادة وحتى بعثة الرسول (ص).

ب ـ الفترة منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وحتى هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة.

٢ ـ المرحلة الثانية وتشمل الفترة منذ الهجرة وحتىٰ وفاة

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (٤٢)، ص ٣٣٩، وينقل المحدث القمي (رحمه الله) في منتهى الآمال (ص١٢٧) هذا الكلام بالنحو التالي:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة».

٢ ـ نهج البلاغة، الكتاب (٢٣).

الرسول ﷺ، والتي تطبعت بطابع خاص.

٣ ـ المرحلة الثالثة: واستغرقت خمسة وعشرين عاماً منذ وفاة النبي وحتى تسلمه عليه السلام الخلافة، وقد عمت هذه المرحلة أجواء من نوع جديد.

٤ ـ مرحلة خلافته التي دامت أربع سنين ونصف السنة.

٥ ـ وأخيراً المرحلة الخامسة التي دامت أقل من يومين وكانت أروع مراحل حياته الكريمة وهي المرحلة ما بين اغتياله ووفاته.

هنا وفي هذه المرحلة أي في ساعات الاحتضار تجلىٰ كمال الإنسانية في شخص علي عليه السلام، فمن مقاييس كمال الإنسانية عند الفرد هو نمط انعكاساته عند استقبال الموت.

لما تلقى الإمام علي عليه السلام ضربة السيف برأسه الشريف كان انعكاسه الأول أن نطق بعبارتين، أمر في أولاهما بإلقاء القبض على الضارب، وما كان أعظم عبارته الأخرىٰ إذ قال:

«فزت ورب الكعبة».

أجل، لقد كان الإمام عليه السلام يحسب الشهادة فلاحاً.

جيئ بالإمام عليه السلام ووضعوه في الفراش ثم حضره طبيب عربي يسكن الكوفة ويدعىٰ «اسيد بن عمرو» وقد تتلمذ عند «جندي شاهبور» فتفحص الإمام عليه السلام بما توفر لديه من وسائل وأدوات أتاحها علم آنذاك

لهم، فعلم أن السم قد نفذ إلى دمه، فظهر عجزه عن معالجته ثم أوصى الإمام عليه السلام بأن يوصي إن كانت له من وصية.

وهذه أم كلثوم تتجه نحو قاتل الإمام (ابن ملجم اللعين إلى يوم الدين) فأخذت تذمه وتلعنه متسائلة عما كان من أبيها ومن سلوكه مع هذا الرجل حتى يفعل به ما فعل.. ثم أنها عندما قالت بأنها تأمل أن يستعيد أبوها عليه السلام عافيته فيسود وجهه (ابن ملجم) وشهقت بالبكاء، طمأنها اللعين أنه ضرب أباها بسيف اشتراه بألف دينار أو درهم ولتلويثه دفع ألف دينار أو درهم ثمن سم لا يكفي لتسميم أبيها فقط بعد أن اخترق رأسه بل يهلك أهل الكوفة أجمعين إن فعل بهم هكذا، ولهذا فإن أباها راحل لا مناص من ذلك.

وعجائب خلق علي عليه السلام تبرز في هذه المرحلة ومعجزاته الإنسانية تزداد تألقاً في هذا الموقف، فإنه عندما قدّم له الطعام عجز عن تناوله ثم أوتي بالحليب فارتشق منه جرعة فأخذ يسطّر آخر وصاياه على صفحات التاريخ، ونادىٰ أبناء عبد المطلب ليؤكد عليهم أن يحسنوا معاملة أسيرهم وأن لا يدعوا العامة يتقولون بعد وفاته بالأقاويل حتى يؤكد كل منهم: هكذا كان الأمر وأن فلاناً هو الباعث والمسبب في قتله، فيتهم هذا وذاك، كلا، إنه لا يروقه أن يتتبعوا مثل هذه الأحاديث فقاتله شخص واحد.

ثم وجه عليه السلام حديثه إلى ابنه الحسن عليه السلام فأوصاه بأن هذا الرجل لم يضرب أباه بأكثر من ضربة لم تتعد إلى ضربتين، وأن الخيار من بعد أبيه

يكون له فإن شاء أطلق سراحه وإن أبىٰ اقتص منه بضربة واحدة، فإن قتل قتل، وإن لا فلا.

وبعد ذلك يتفقد حال أسيره وهل أنهم قدموا له طعاماً واستقصوا أمره؟.

هكذا كان تعامل الإمام علي عليه السلام مع عدوه... إنها مروءته وشهامته لم يتجرد عنهما حتى عندما كان وضعه يزداد وخامة وهو في فراش الموت وأثر السم يدبّ في جسمه الطاهر ساعة بعد ساعة.. كان الأصحاب يعودونه فيلقاهم باسماً وهو يقول:

«.. والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت إلّا كقارب ورد وطالب وجد، وما عند الله خيرٌ للأبرار».

لقد ركن الإمام في كلامه إلى استخدام مثل اعتاد العرب استخدامه، فقد كان البدو منهم رحالة يعيشون حياة الترحال، فيحلون في الأراضي والبقاع متىٰ ما وجد فيها الماء والكلأ ثم يرحلون عنها عند نفاد علوفتها ومياهها ليسكنوا في غيرها. كما أنهم يتركون سكناهم ليلاً عندما يشتد الحر ليهنأوا بمحل مموّل بالماء والطقس الملائم. إن الإمام علياً عليه السلام يخبر أصحابه أنه كالمحب الذي قربت ساعة لقائه بحبيبه.. إنه كالظمآن يبحث ليلاً عن الماء فيعثر عليه فجأة، فما أعظم سروره وأكبر هنائه.

كان أثر السم قد استفحل في جسمه الشريف في لحظاته الأخيرة فيغمىٰ عليه بين آن وآخر بينما الجميع يحيطون به، إلّا أنه ما أن يفيق

حتى يعود إلى ما كان عليه فتنساق العبارات الذهبية على لسانه وتنساب النصائح السنية والمواعظ السديدة من فيه، وكانت آخر مواعظه الهيّاجة ما تضمنت عشرين بنداً[١]، وجه خطابه فيها إلى الحسن والحسين عليهما السلام أولاً ثم إلى جميع أبنائه ثم إلى البشرية جمعاء إلى يوم الدين فلهم أن يسمعوا نداءه ويصغوا إلى رنين كلامه[٢].

١٧ ـ «الرائح إلى الله كالظمآن يرد الماء، الجنة تحت أطراف العوالي[٣]، اليوم تبلى الأخبار، والله أنا أشوق إلى لقائهم[٤] منهم إلى ديارهم».

يقصد الإمام في كلامه أن يردع طالب السعادة الأبدية والجنة السرمدية من تحاشي القتال والجهاد في سبيل الله، لأن صدق ما يدعيه المرء إنما تثبته مقارعة السيوف ومجالدة الأعداء والشهادة في سبيل العقيدة، فيغدو شأنه شأن مولاه أمير المؤمنين عليه السلام، يطمح للقاء العدو أكثر من رغبتهم في ديارهم.

١٨ ـ ومن دعاء لأمير المؤمنين عليه السلام لهاشم بن عتبة:

«اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيك»[٥].

---

١ ـ راجع تحف العقول، ص (١٣٥).

٢ ـ نقلاً عن كتاب «الإنسان المتكامل» (إنسان كامل)، ص (٦٨ ـ ٧١).

٣ ـ العوالي أي الرماح.

٤ ـ أي لقاء الأعداء.

٥ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (٢)، ص (١٨٤).

١٩ ـ «.. إنكم إن لا تُقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده، لألف ضربة بالسيف على الرأس أيسر من موته على الفراش»[١].

---

١ ـ إرشاد الشيخ المفيد، ص ١٢٧. وقد ذكر هذا الكلام نقلاً عن أمير المؤمنين(ع) في الكثير من المصادر بفارق في العبارات، ننقلها كما هي:

عن أمير المؤمنين (ع)، قال: الموت طالب ومطلوب لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، فقدموا ولا تنكلوا، فإنه ليس عن الموت محيص، إنكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من موت على فراش. (بحار الأنوار، المجلد ١٠٠).

وقال في التحريض على القتال:

أيها الناس! إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات، إن أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد(٧)، ص (٣٠٠)).

ومن كلام قاله لأصحابه في وقت حرب:

«أي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فُضِّلَ بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله، إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش». (بحار الأنوار، المجلد ١٠٠).

قال أمير المؤمنين (ع):

«الموت طالب حثيث، ومطلوب لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فأقدموا ولا تنكلوا، فإنه ليس عن الموت محيص، إنكم إن لا تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أيسر من موتة فراش». (بحار الأنوار، المجلد ١٠٠).

دعاؤه (ع) لاستقرار الإيمان

٢٠ ـ اللهم إني أسألك ايماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة النبي محمد وآله الأخيار الطيبين في أعلى جنة الخلد مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً»[١].

دعاؤه (ع) للحشر مع أصفياء الله:

٢١ ـ وأدرجني درج من أوجبت له حلول دار كرامتك مع أصفيائك وأهل اختصاصك بجزيل مواهبك في درجات جناتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[٢].

وأية ضربة سيف تمناها عليه السلام ؟!

٢٢ ـ سُئل الرضا عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: لضربة بالسيف أهون من موتٍ على فراش، قال عليه السلام: في سبيل الله[٣].

إعلان المواقف الصارمة في الحرب:

وفي كتاب إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنـفذه إلى

---

١ ـ الصحيفة العلوية، ص ٥٣٩.

٢ ـ الصحيفة العلوية، ص ٦٤٤.

٣ ـ مشكاة الأنوار، ص ٣٠٤.

بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

٢٣ ـ «وأما ما سألت عنه من رأي في القتال، فإن رأيي قتال الُمحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، ولا تحسبن ابن أبيك ـ ولو أسلَمَه الناس ـ متضرعاً متخشعاً، ولا مقراً للضيم واهناً، ولا سَلِسَ الزمام للقائد، ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد، ولكنه كما قال أخو بني سليم[1]:

فإن تسألني كيف أنت؟ فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترىٰ بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب[2]

فعلي عليه السلام إذاً، لا يقاتل إلّا من استجاز القتال ناقضاً عهد الله وعهد الرسول وهو عليه السلام لا يطلب بذلك سوىٰ رضا الله سواء لديه قل نصيره أم كثر، أو تيسر النصر أو استعسر.

٢٤ ـ «.. فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة»[3].

---

١ ـ ويقصد عباس بن مرداس السلمي أحد أبناء قبيلة بني سُليم.

٢ ـ نهج البلاغة، الكتاب (٣٦).

٣ ـ جاء ذلك في كلام له (ع) في ذكر البيعة إذ قال:

«فتداكوا عليّ تداك الإبل الهيم (أي العطاشىٰ) يوم وردها قد أرسلها راعيها، وخُلِعت مثانيها، حتى ظننت أنهم قاتليَّ، أو بعضهم قاتل بعض لديَّ وقد قلّبت هذا الأمر بطنهُ وظهرهُ، حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلّا قِتالهم، أو الجحود بما جاء

←

٢٥ ـ أما قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي دخلت على الموت أو خرج الموتُ إلي[١].

٢٦ ـ ومن كلام له عليه السلام لما خوِّف من الغيلة[٢] (كان بعض أصحابه قد

← به محمد (صلى الله عليه وآله)، فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العِقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة). (نهج البلاغة، الخطبة ٥٤).

توضيح: تداكوا عليّ أي جاؤوني يتقارعون ويدك أحدهم جنب الآخر.

و «قد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره»: أي أنني بعد قبول بيعتهم والتعرض لما كان من بعضهم من نكث البيعة من أمثال طلحة والزبير، عدت لتقييم الموقف بالتمحيص في ثناياه والتدبر في مبتغاه حتى سلبني التفكير النوم فوجدتني لتحمل لوعة القتال أكثر تأهباً من لوعة العذاب الإلهي، ولقبول متاعب الدنيا أكثر استعداداً من صعاب الوفاة وعذاب الآخرة.

١ ـ جاء في كلام له (ع) لما استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

«أما قولكم: أكُلَّ ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ. وأما قولكم شكّاً في أهل الشام! فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها». (نهج البلاغة، الكلام (٥٥)).

توضيح: وأما قولكم: «شكّاً في أهل الشام» أي رأيكم بأن إبطاء الإذن لكم كان باعثه شكي وترديدي في وجوب قتال أهل الشام.

إن الإمام ورغم هيمنته على شريعة الماء بصفين، لم يمنع أهل الشام أن يردوها فترك القتال أياماً، فعلل بعض المقاتلين تأخر إذنه بالقتال بأنه خاف الموت والقتل. وذهب البعض إلى أن مرده كان شكه في وجوب قتال الشاميين فرفض الإمام هذا وذاك وشرح لهم الدافع الحقيقي لسلوكه هذا.

٢ ـ الغيلة: الخديعة والاغتيال.

أبلغوه بنية ابن ملجم وعزمه على قتله):

«.. وإنّ عليَّ من الله جُنّة[1] حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني، فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم[2]» (نهج البلاغة، الكلام ٦٢).

٢٧ـ عن ابن ميناء عن أبيه، عن عائشة، قالت: جاء علي بن أبي طالب عليه السلام يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله، فلم يأذن له، فاستأذن دفعة أخرى، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ادخل يا علي. فلما دخل قام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فاعتنقه وقبّل ما بين عينيه، وقال بأبي الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد[3].

٢٨ـ فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين[4].

١ـ الجنة: الدرع (ويقصد به الإشارة لرعاية الله له).

٢ـ أي الجرح.

٣ـ الأمالي، الشيخ المفيد، ص ٢٩٠.

٤ـ جاء في الكلام (٥١) من نهج البلاغة في قوله لما غلب أصحاب معاوية أصحابه (ع) على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء:

«قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلّه، ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين، ألا وان معاوية قاد لُمّة من الغواة، وعمّس عليهم الخبر حتىٰ جعلوا نحورهم أغراض المنية».

توضيح: الموت في حياتكم مقهورين: أي أن الموت الحقيقي هو ما تشهدونه في حياتكم إن قهركم العدو.

والحياة في موتكم قاهرين: أي ان حقيقة الحياة هي ما يحظىٰ بها الانسان بعد ميتة ←

علي (ع) يبيع الله نفسه:

٢٩ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: كان علي إذا أراد القتال، قال هذه الدعوات:

«اللهم إنك أعلمت سبيلاً من سُبلك فجعلت فيه رضاك وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندنا ثواباً وأكرمها إليك مآباً وأحبها إليك مسلكاً ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليك حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن فاجعلني ممن اشترىٰ فيه منك نفسه ثم وفىٰ لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدل تبديلاً»[1].

على (ع) وشوقه للموت استشهاداً:

٣٠ـ وعنه عليه السلام عندما يوبّخ أصحابه على التواني عن الجهاد:

«وإن أحبّ ما أنا لاق إلى الموت»[2].

٣١ـ «نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة

← تزامنت مع قهر العدو.

عسم الأمر: تجاهله وادعىٰ أنه لا يعرفه، وهو يعرفه، (معجم لاروس).

١ـ تهذيب الأحكام، المجلد (٣)، ص (٨٢).

٢ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

الأنبياء»[1].

٣٢ـ من خلال دعاء الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان المبارك، أوصانا الأئمة الأطهارعليهم السلام، أن نتوجه إلى الله عز وجل في مناجاتنا بالقول:

«.. أن تجعل إسمي في السعداء وروحي مع الشهداء وإحساني في عليين»[2].

٣٣ـ «اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا، وفي عليين فارفعنا».

ثم نقرأ:

«وقتلاً في سبيلك فوفق لنا»[3].

وفيما يدعىٰ به عقيب زيارات الأئمةعليهم السلام :

«وأحيني يارب سعيداً وتوفني شهيداً».

النبي (ص) ورأيه في الشهادة في سبيل الله:

٣٤ـ «والذي نفسي بيده لوددتُ أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم اقتل،

١ـ تفسير نهج البلاغة، المجلد (٥)، ص ٧٣.

٢ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دعاء الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان.

٣ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دعاء ليالي شهر رمضان.

ثم أحيا، ثم أقتل»[1].

٣٥ ـ «لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»[2].

الإمام السجاد يتمنى الشهادة:

٣٦ ـ قال علي بن الحسين عليه السلام:

«حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء بسيوف أعدائه، إنه ولي حميد»[3].

٣٧ ـ وعنه عليه السلام: «ولكن أمتني على فراشي في طاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وآله مُصيباً للحق غير مخطئ أو في الصف الذي نعتَّهم في كتابك كأنهم بنيان مرصوص»[4].

الإمام السجاد ورأيه في الشهادة:

٣٨ ـ قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام رداً على يزيد (لعنه الله) لما هدده بالقتل:

---

١ ـ صحيح مسلم، المجلد (٣)، ص (٢٤٩١).
٢ ـ المصدر السابق.
٣ ـ الصحيفة السجادية، الدعاء (١).
٤ ـ أصول الكافي، المجلد (٤)، ص ٢٩٦.

«أبالقتل تهددني يابن مرجانة، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة»[1].

الإمام الصادق (ع) يطلب من الله الشهادة:

كان الإمام الصادق عليه السلام يتوجه إلى الباري تعالى في مناجاته وتضرعه ليسأله التوفيق لنيل الشهادة في سبيله، قائلاً:

٣٩ ـ «.. وأسألك أن تجعل وفاتي قتلاً في سبيلك تحت راية نبيك مع أوليائك، وأسألك أن تقتل بي أعداءك وأعداء رسولك».

التوق للشهادة في خطبة الإمام الحسين (ع) بمكة المكرمة:

في الثامن من ذي الحجة الحرام، عندما عزم الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام للخروج من مكة المكرمة، خطب في الجماهير قائلاً:

٤٠ ـ «بسم الله وبالله وما شاء الله، خطَّ الموت على ولد آدم مخط القِلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه، لا محيص عن يوم خط بالقلم ولن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، هي مجموعة له في حظيرة القدس وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل

---

١ ـ منهاج الدموع، ص ٣٧٢.

مصبحاً إن شاء الله»[1].

٤١ ـ وقال عليه السلام: «الموت في عزٍّ خيرٌ من حياة في ذل»[2].

كما ينسب إليه هذا البيت من الشعر:

الموت أولى من ركوب العار — والعار أولىٰ من دخول النار

٤٢ ـ كما يقول عليه السلام: «فما الموت إلّا قنطرة تعبُركم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة فأيّكم يكرَه أن ينقل من سجن إلى قصر»[3].

وجه الحسين يزداد إشراقاً باقتراب لحظة استشهاده:

يروىٰ أن الإمام الحسين عليه السلام لما فرغ من صلاة الصبح في يوم عاشوراء، استدعىٰ أصحابه ثم راح يقول لهم أن يأخذوا أهبتهم فإن الموت ليس إلّا قنطرة تنقلهم من عالم إلى عالم آخر، من عالم يكتظ بالصعاب والمشاق إلى عالم سام، شريف ولطيف، لم ينم ذلك عن كلامه فحسب بل وفعاله أيضاً، وهذا ما لم يدّعِه الحسين بن علي عليه السلام بل أقر به المؤرخون ومنهم «حميد بن مسلم» مؤرخ بلاط «عمر بن سعد» إذ تبين مما رواه أن الدهشة أخذت منه مأخذاً وهو يرىٰ وجه الحسين يزداد

---

١ ـ سيد الشهداء، ص ٥٣.

٢ ـ اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس، ص ٢٣ ـ ٢٤، طبعة بيروت، وبحار الأنوار، المجلد (٤٤)، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

٣ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٧).

إشراقاً كلما ازداد الموقف حراجة وموعد الشهادة دنواً وكأنه محب يلتحق بحبيبه.

ثم يقول حميد بن مسلم أنه جاء جثمان الحسين عليه السلام في اللحظات الأخيرة، بعد ما حزّ ذلك اللعين الأبدي السرمدي رأسه الشريف، فما أن أبصر وجهه ببشره وبنوره حتى نسي التفكير في موته عليه السلام فيقول: لقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله[1].

٤٣ـ ارتجز الإمام الحسين عليه السلام الأبيات التالية حول الشهادة في سبيل الله:

فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسة فإن ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وإن تكن الأرزاق قسماً مُقدّراً فقِلةُ سعي المرء في الكسب أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

ومما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام قبل توجهه من المدينة إلى مكة المكرمة، نشير إلى الحديثين التاليين:

أ ـ بعد لقائه مع الوليد ومروان، وما كان من حوار معهما، طرحت فيه قضية بيعة يزيد، يدخل الحسين عليه السلام إلى مرقد جده الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فيقول:

---

١ ـ نقلاً عن الملحمة الحسينية (حماسه حسينى)، المجلد (١).

٤٤ ـ «اللهم، هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت. اللهم إني أحب الأمر بالمعروف وأنكر المنكر وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلّا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى»[١].

ثم غلبه الكرىٰ إلى جانب قبر جده الحبيب فيغفو لحظات ليلتقي في عالم الرؤيا جده فيشده إليه ويحتضنه وهو يشم طيبه، فقال له:

«حبيبي يا حسين، كأني أراك عن قريب مُرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلا من عصابة من أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقىٰ وضمآن لا تروىٰ»[٢].

ب ـ يذكر التاريخ أنه لما عزم الحسين عليه السلام على ترك المدينة، جاءته أم المؤمنين «أم سلمة»، فقالت له:

٤٥ ـ يا بني! لا تحزنّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا، فقال لها: يا أماه، وأنا أعلم ذلك وأني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بُدّ وأني والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي[٣].

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠)، ص ١٧٤.

٢ ـ ناسخ التواريخ، حالات سيد الشهداء، ص (١٥٧).

٣ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠)، ص (١٧٥).

مع الحسين إبان ترك مكة:

نشير على هذا الصعيد إلى نموذجين من كلام الإمام الحسين عليه السلام:

أ ـ خطبته الرائعة والمثيرة في السابع من ذي الحجة قبل التوجه إلى العراق إذ قال بعد حمد الله والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله.

٤٦ـ خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني اكراشاً جُوفاً[١].

ب ـ الحوار الذي دار بينه عليه السلام وبين أخيه محمد بن الحنفية بعد اطلاعه على نبأ خروج قافلته إلى الكوفة، فتعجل في الالتحاق به، وقال له:

٤٧ـ يا أخي! ألم تعدني النظر فيما سألتك؟.

قال: بلىٰ.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين! أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً[٢].

---

١ ـ اللهوف، ص ٢٧.

٢ ـ اللهوف، ص (٧٢).

الرحيل إلى العراق:

كان الإمام الحسين عليه السلام يلقي كلمة في الناس في كل منزل من المنازل العديدة التي كانت القافلة الحسينية تحط الرحال فيها..

وفي منطقة يقال لها «بطن عقبة» التقىٰ رجلاً من وجهاء «بني عكرمة» ويدعىٰ «عمرو بن لوذان»، فقال للإمام عليه السلام:

٤٨ـ يابن رسول الله أنشدك الله لمّا انصرفت فوالله ما تُقدِم إلّا أسنة وحد السيوف.

فقال عليه السلام:

«إنه لا يخفى عليّ ما ذكرت، ولكن الله عز وجل لا يُغلب على أمره...» ثم ارتحل[1].

الأرض الموعودة:

مع وصول القافلة أرض كرب وبلا، الأرض الموعودة، عاد الإمام

---

١ ـ الكامل لابن الأثير، المجلد (٣)، ص ٢٧٨.

وقال بحسب البداية والنهاية (المجلد ٨، ص ١٨٣): يا عبد الله، إنّه ليس يخفىٰ عليّ الرأي، وإن الله تعالى لا يُغلب على أمره.

وفي «الوثائق الرسمية لثورة الحسين» (ص ٨١ـ٨٢):

«والله لا يدعوني (أي بنو أمية) حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي! فإن فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرق الأمم»..

الحسين عليه السلام ليتحدث عن الشهادة قائلاً:

قِفوا ولا ترحلوا منها فهاهنا والله مناخ ركابنا، هاهنا والله سفك دمائنا، هاهنا والله هتك حريمنا، هاهنا والله قتل رجالنا، هاهنا والله ذبح أطفالنا، هاهنا والله تُزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف لقوله[1].

أجل، الشهادة ميتة واعية، فجميع الشهداء يقبلون على الموت عن وعي بقتلهم. ولنا أن نجد في نهضة كربلاء الحسينية الدامية نموذجاً كاملاً للشهادة، له أن يتخذ أسوة حسنة يحذو جميع الشهداء على مر التاريخ حذوها.

إن الوعي في طلب الشهادة أمر لا يتحدد بالحسين عليه السلام بل هو الأسوة المرتآة والقدوة المحتذاة في هذا المضمار، فقد أقبل أصحابه أيضاً على الشهادة بوعي، فالشهادة كانت مصيرهم الحتمي ومآلهم الجزمي، إلّا أنهم ارتضوها بحب واشتاقوا لها بولع، فالحسين عليه السلام كان قد وقف بين أنصاره الأحرار البواسل عندما سد «الحر» ومقاتلوه الطريق بوجههم، وتجلت لهم الصورة الشيطانية للحرب، فألقىٰ خطبته الساخنة الملتهبة التي قال فيها:

٤٩ـ إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت

١ـ ناسخ التواريخ، حالات سيد الشهداء، المجلد (٢)، ص١٦٨.

وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء[1]، ألا تـرون أن الحـق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما[2].

الإمام علي (ع) بين رجاء الشهادة والدعاء على الأعداء:

تطبع آخر شهر رمضان من حياة الإمام عـلي عليه السلام بـطابع مـختلف وصبغة مغايرة إذ ساده جو من نوع خاص، بعث لدى جميع أهل بـيت الإمام عليهم السلام منذ يومه الأول قلقاً واضطراباً، فقد كان سلوك الإمام في هذا الشهر يتباين عن سلوكه فيه على مر السنين المنصرمة.

مر بنا قبل هذا أنه عليه السلام قال: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت:

يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟

فقال: يا علي! إن أمتي سيفتنون من بعدي.

فقلت: يا رسول الله! أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من

---

١ ـ أي ماضية لا يلوي صاحبها على شيء.

٢ ـ نقلاً عن كتاب «دوافع النهضة الحسينية»، ص ١٩.

توضيح: النصوص الثمانية الأخيرة تم نقلها عن كتاب «الجهاد والشهادة».

استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة، فشقّ ذلك عليَّ، فقلت لي: «أبشر فإن الشهادة من ورائك».

هذا كلام علي الشاب في أُحد، وهو ذو الخمسة والعشرين عاماً وكان قد تزوج الزهراء عليها السلام حديثاً وله منها طفل واحد هو الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام.. إنها أسرة يافعة وكان لها أن ترجو من دنياها، كغيرها من العوائل، تحسن أوضاع معيشتها، بينما نجد أن علياً عليه السلام لا يطمح لأكثر من شيء واحد فأمنيته الكبرى هي نيل الشهادة في سبيل الله فيبشره النبي صلى الله عليه وآله بها وإن كانت قد حيزت عنه في أُحد، ثم يسأله:

كيف صبرك إذاً؟

وعلي يجيب:

«يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرىٰ والشكر».

وآخر رمضان قضاه علي في حياته موطن بشرى وثناء منه لله لا موطن صبر، بينما كان هكذا بالنسبة لأهل بيته، فقد دبّ فيهم قلق واضطراب بعثه ما جاءهم من أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله واستبان علي عليه السلام لوائحها فيصرح أحياناً بأن ضيقاً واضطراباً قريبين سيحلان بأهل بيته وأصحابه المقربين، إنه يتفوه بكلام عجيب.. لقد حلّ في كل ليلة من ليالي رمضانه الأخير عند أحد أبنائه لكنه لم يتناول من الطعام إلّا قليله

فيأسفون على ذلك ويرقّ قلبهم لحاله فيسألونه عن قلة طعامه ويجيبهم أنه يرغب أن يلاقي ربه بجوف خاوي وبطن جائعة فيوحي إليهم كلامه أنه بانتظار أمر ما، انتظار دنا موعده.

وفي الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان المبارك زاره أبناؤه وقضوا معه شطراً من الليل حتى عاد الإمام الحسين عليه السلام إلى داره.

كان لأمير المؤمنين عليه السلام مصلى يقضي فيه ليله إذ أنه بعد فراغه من أعماله اليومية، الحياتية والاجتماعية، اعتاد أن يخلو بنفسه في مصلّاه فيتضرع إلى ربه ويناجيه بحبه له.

وقبل طلوع الصبح عاد إليه الإمام الحسين عليه السلام وتوجه مباشرة إلى مصلىٰ أبيه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكنّ احتراماً بالغاً لأبناء فاطمة عليها السلام لأنه يرعىٰ احترامه للنبي صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام من خلال احترامه لهم.. ولما أبصر أمير المؤمنين ابنه الحسين عليه السلام، قال له:

«ملكتني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت:

يا رسول الله!.. لقيت من أمتك من الأود واللدد.

فقال: ادع عليهم.

فقلت: أبدلني الله بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم

مني»[1].

وفي هذه الأثناء أخذت البط تتصايح في الخارج، فقال:

«دعوهن فإنهن صوائح تتبعها نوائح»[2].

إنه كان يتوقع أن تعم نوائح الناس ذاك المكان في القريب العاجل.. غني عن الاستدلال أن تفوّه أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام أثار القلق والاضطراب لدى أحبته فتقدموا إليه وأمسكوا به وقد قرروا الحيلولة دون خروجه إلى المسجد. وكان لابد له أن ينيب عن نفسه من يؤم الصلاة فأمرهم بادئاً أن يخبروا ابن أخته «جعدة بن جبير» أن يؤم الناس في الصلاة ثم أنكر ذلك وقرر أن يذهب إلى المسجد ويؤم الصلاة بنفسه.. طلبوا إليه أن يأذن لأحد بمرافقته فأبىٰ لأنها ليلة فريدة في أجوائها عجيبة في أطوارها، فهي كما قال عليه السلام في تعبيره البليغ الرائع:

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحي صالح، ص ٩٩.

٢ ـ منتهى الآمال، الحاج الشيخ عباس القمي، المجلد الأول، ص ١٧٢.

يذكر القمي في المصدر نفسه، أنه عندما وصل (ع) إلى عتبة باب داره انفلت حزامه فوقف يشده وهو يرتجز أشعاراً منها البيتان التاليان:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بناديكا

ولا تغترّ بالدهر، وإن كان يوافيكا

كما أضحكك الدهر، كذا الدهر يبكيكا

ثم سأل (ع) الله أن يبارك له في موته وفي لقائه إياه.

«وما كنت إلّا كقارب ورد وطالب وجد».

ثم أنه عندما لازم الفراش بعد ضربته واغتياله كان يقول أنها (الضربة التي تلقاها في رأسه) كأنها وسيلة ألحق المحب بحبيبه وأخذت بيد الظمآن الباحث عن الماء في جوف الليل حتى يجد بئراً فيحمل إلى حيث استدل متاعه، فما أعظم هنائه وهو يعثر على البئر، فمثله كمثل هذا الوارد على الماء.

وقرر أخيراً ما قرر.. إنه صمم على الذهاب بنفسه ولا يعلم شدة هياجه وابتهاجه بلحظة اللقاء إلّا الله.. إننا نلحظ من سياق كلامه أنه لطالما حاول الكشف عن كنه هذه الحالة ولكن مشيئة الله قضت أن يخفىٰ الأمر عليه رغم أنه كان يتوقع حدوث ما عظم شأنه وقرب وقوعه إذ نقرأ في نهج البلاغة:

«ما زلت أفحص عن مكنون هذا الأمر وأبى الله إلّا إخفاءه..».

حضر الإمام عليه السلام المسجد قرب موعد الأذان فاعتلى المأذنة وشرع يؤذّن:

«الله أكبر، الله أكبر،...».

إنه كان في الواقع يودع الفجر بأذانه ويسأله هل سبق له يوماً منذ ولادة علي عليه السلام أن يبزغ وعينا علي نائمتان، وبذلك يعلن عن قرب خلوده إلى نوم لا رجعة منه إلى الحياة الدنيا..

إنه علي عليه السلام ينزل من المأذنة وهو ينشد:

خــلوا ســبيل المـؤمن المـجاهد فــي الله لا يــعبد غــير الواحـد
ويـوقظ النـاس إلى المسـاجد(١)

ها هو يعرّف نفسه بأنه المؤمن المجاهد.. لقد ساد الاضطراب وتفشى القلق ولم لا وقد قال وهو لا ينطق وهماً ولا يتفوه عبثاً: «إنهن صوائح تتبعها نوائح».

ثم أن نداءً استرعىٰ انتباه الجميع وهو يعم كل مكان:

«تهدمت والله أركان الهدىٰ وانطمست أعلام التقىٰ وانفصمت العـروة الوثقىٰ، قُتل ابن عم المصطفىٰ، قُتل الوصي المجتبىٰ، قُتل علي المرتضىٰ، قتله أشقى الأشقياء».

وأخيراً تخضب وجهه ولحيته من دماء رأسه، فـما كـان مـنه إلّا أن يقول:

«هذا ما وعدنا الله ورسوله»(٢).

---

١ ـ ديوان الإمام علي (ع).

٢ ـ لما نزلت على النبي (ص) (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لي:

يا علي إنه قد جاء نصر الله والفتح فإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً.

يا علي! ان الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي.

←

وقد قيل فيه أنما قتله عدله وإنصافه: «وقتل في محرابه لشدة عدله».

→ فقلت: يا رسول الله! وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟

قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلّا الله واني رسول الله (وهم) مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني.

فقلت: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله؟

فقال: على إحداثهم في دينهم وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي.

قال: فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة، فسل الله تعالى أن يعجلها (لي).

فقال: أجل، قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا ـوأومأ إلى رأسي ولحيتي ـ؟

فقلت: يا رسول الله! أما إذا بينت لي ما بينت فليس بموطن صبر (و) لكنه موطن بشرىٰ وشكر.

فقال: أجل، فأعد للخصومة، فإنك مخاصم أمتي.

قلت: يا رسول الله أرشدني الفلج*.

قال: إذا رأيت قوماً قد عدلوا عن الهدىٰ إلى الضلال فخاصمهم، فإن الهدىٰ من الله، والضلال من الشيطان. يا علي! إن الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوىٰ والرأي. وكأنك بقوم قد تأوّلوا القرآن وأخذوا بالشبهات، واستحلوا الخمر بالنبيذ، والبخس بالزكاة والسحت بالهدية.

قلت: يا رسول الله! فما هم إذا فعلوا ذلك، أهم أهل ردة أم أهل فتنة؟

قال: هم أهل فتنة، يعمهون فيها إلى أن يدُوكهم العدل.

فقلت: يا رسول الله! العدل منا أم من غيرنا؟

فقال: بل منا، بنا يفتح الله».

* فلج الأمر = نظر فيه ودبّره.

وفي الأيام الأخيرة من حياته، وبالضبط قبل ما يقل عن اسبوع من اغتياله ألقىٰ خطبة مهيجة أراد بها تقوية معنويات عسكره وشحنهم بروح التضحية والتفاني وشحذ هممهم لمقارعة العدو ومجاهدته وهو يهم بالكر على قتال معاوية. جاء فيها:

«... أزمع الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنىٰ».

«.. ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين ألا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق»[١].

«قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم»[٢].

يحدثنا الإمام العسكري عليه السلام عن آبائه عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه عندما سئل عما هو استقبال الموت وكيف يتم ذلك، أكد أن استقبال الموت إنما هو بأداء جميع الفرائض والواجبات وترك الآثام والمحرمات وبتحلي النفس بمكارم الأخلاق وبما حمد وحسن من الطباع، فمثل هذا الشخص لا يبالي أوقع على الموت أم الموت وقع عليه.

ثم أردف عليه السلام يقسم وهو يقول:

---

١ ـ الرنق: الماء الكدر، ويقصد «ما لا يستساغ».

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (١٠)، ص٩٩.

«والله ابن أبي طالب لا يبالي أوقع على الموت أم الموت وقـع عليه»[1].

هذا الكلام البديع جاء عن الإمام عليه السلام في عدة حالات تأكيداً مـنه على رأيه في الموت.

ذات مرة كان عليه السلام يتجول بين صفوف مقاتليه دون درع مكتفياً بما يرتدئ تحته، فقال له ابنه الحسن بأن ذلك ما لا يتناسب مع سوح القتال.

فقال عليه السلام:

«يا بني! إن أباك لا يبالي، وقع على الموت أم الموت وقع عليه»[2].

علي (ع) واللامبالاة للخطر والتهديد

في ردّه عليه السلام على «الأشعث بن قيس» وهو أحد قادة جنده عـندما أشار إليه ملوحاً بأنه سيتعرض لا محالة للاغتيال لو استمر عـلى هـذا النهج ـ وكان الإمام قد نهره خلال حوار دار بينهما ـ فقال عليه السلام:

«أبالموت تخوفني أو تهددني، فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ»[3].

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (٧١)، ص (٢٦٣).

٢ ـ بحار الأنوار، المجلد (٤١)، ص (٢).

٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد (٦)، ص ١١٧.

الموت لعلي (ع) كشربة باردة:

لما كان الإمام علي عليه السلام سائراً يقصد بلاد الشام قبل معركة صفين نزل في منطقة تسمىٰ «بليخ» فخرج إليه راهب من صومعته، وجاء الإمام ليخبره أنهم توارثوا عن آبائهم مخطوطاً كتبه أصحاب النبي عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم سأله هل هو راغب في أن يقرأه عليه، فأجابه الإمام علي عليه السلام بالإيجاب.

شرع الراهب بالقراءة فتلا على الإمام ما فيه تنبؤ وتكهن بظهور نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله وسجايا الإمام عليه السلام. ومن هذه السجايا المذكورة في ذلك المخطوط:

«الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن».

٥٠ ـ وقال عليه السلام في حديث له:

«إنـي والله لو لقيتهم فرداً وهم مِلء الأرض ما باليت ولا استوحشت».

ولنا أن نستوحي من آخر نص نستعرضه في هذا الفصل فلسفة البسالة والإيثار الخارق اللذين تطبع بهما عليه السلام إذ لخصها في نقطتين، هما:

أ ـ كونه على ثقة وبينة ويقين وبصيرة برشاد هداه.

ب ـ اشتياقه للقاء الله.

٥١ ـ «وإني من ضلالتهم التي هم فيها، والهدى الذي نحن عليه، لعلىٰ ثقة وبينة ويقين وبصيرة، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر».

قــــوم إذا نــودوا لدفــع مــلمة

والخـيل بـين مـدعّس ومكـرد،

لبسوا القلوب على الدروع، وأقـبلوا

يـتهافتون عــلى ذهـاب الأنـفس

«إن شهداء هذه الثورة العظيمة وكشهداء صدر الإسلام يتمتعون في حظيرة القدس الربوبية، حالياً ومستقبلياً، بالحظوة والعناية من لدن الحق المتعال وأصفياء الدين الإسلامي».

من كلام للإمام الخميني (قده)

في إكبار شأن شهداء الثورة الإسلامية في إيران

الفصل الثاني

الطموح للفوز بالشهادة في كلام أنصار المعصومين (ع)

يتضمن هذا الفصل (٢٧) حكاية تاريخية



عبد الله بن عفيف يحمد الله على رزقه الشهادة:

عندما ورد أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الكوفة وحضروا مجلس عبيد الله صعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال في بعض كلامه:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب ابن الكذاب..

فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبد عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة وزهادها، وكانت عينه اليسرىٰ ذهبت في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين. وكان يلازم المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، فقال:

يابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟.

قال الراوي: فغضب ابن زياد فقال: من هذا المتكلم؟

فقال: أنا المتكلم يا عدو الله، أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عـنها الرجس وتـزعم أنك عـلى ديـن الإسـلام، وا غـوثاه أيـن أولاد المهاجرين والأنصار، لا ينتقمون من طـاغيتك (أي يـزيد) اللـعين ابـن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين ﷺ.

قال الراوي: فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه وقال: عليَّ به.

فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف مـن الأزد ومن بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجـوه مـن بـاب المسجد، وانطلقوا به إلى منزله.

فقال ابن زياد: إذهبوا إلى هذا الأعمىٰ، أعمى الأزد، أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فأتوني به.

قال: فانطلقوا إليه، فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم.

قال: فلما بلغ ذلك ابن زياد جمع قبائل مصر وضمهم إلى محمد بـن الأشعث وأمرهم بقتال القوم.

قال الراوي: فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب.

قال: ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عـفيف فكسـروا

الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: أتاك القوم من حيث تحذر.

فقال: لا عليك، ناوليني سيفي.

فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه، ويقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن ام عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جدّلته مغاور

قال: وجعلت ابنته تقول: يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

قال: وجعل القوم يدورون عليه من كل جهة وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه أحد، وكلّما جاوؤه من جهة، قالت: يا أبت جاؤوك من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فقالت ابنته: وا ذلاه، يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

قال الراوي: فما زالوا به حتى أخذوه، ثم حمل فأدخل على ابن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك. فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله، وبماذا أخزاني الله؟!

والله لو فرج لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

فقال ابن زياد: يا عدو الله، ما تقول في عثمان بن عفان؟

فقال: يا بني عبد علاج، يابن مرجانة -وشتمه- ما أنت وعثمان بن

عفان أساء أو أحسن وأصلح أم أفسد، والله تبارك وتعالىٰ ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصة؟

فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما أني قد كنت أسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه. فلما كف بصري يئست من الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرّفني الإجابة منه في قديم دعائي.

فقال ابن زياد (لعنه الله): اضربوا عنقه، فضرب عنقه وصلب في السبخة[1].

ابن خثيمة وطموحه للفوز بالشهادة

جاءت في سفينة البحار قصة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتسابق مع ولده قبيل غزوة بدر حول الخروج إلى ساحة القتال، فالولد يصر على خروجه وبقاء الأب في الدار والأب يأبىٰ ذلك ويرىٰ أن الأفضل هو بقاء ولده وتوجهه هو نحو الجهاد. الإبن يعلن أنه ينوي الذهاب على أمل أن يفوز بالشهادة والأب يهتف بأنه أولى بالجهاد

---

١ ـ نفس المهموم، ص ٤١٠ ـ ٤١٢ نقلاً عن الملهوف، ص ١٤٦ ـ ١٥٠.

والشهادة. فآلى أمرهما إلى المساهمة فخرج سهم سعد فرزق الشهادة، فرآه أبوه في المنام قبيل واقعة أُحد في أحسن صورة وقد نال شأناً مرموقاً ويقول: إلحق بنا ترافقنا في الجنة. إنه قد وعدني ربي حقاً.

جاء الكهل إلى رسول الله ﷺ وقال له: أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة وقد كبرت سني ورقّ عظمي وأحببت لقاء ربي فادع الله يرزقني الشهادة.

دعا الرسول ﷺ الله ليرزق عبده المؤمن خثيمة الشهادة فقتل بأُحد شهيداً بعد أقل من سنة.

عمرو بن الجموح وأمله في الشهادة

قد سمعنا جميعاً قصة دعاء الصحابي عمرو بن الجموح وكيف أنه نال الاستجابة بعد أن أبى البعير الذي حمل جثمانه المضي به إلى المدينة.

إن عمرو بن الجموح هو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ممن نالوا الشهادة في غزوة أُحد، وكان الرجل مصاباً في رجله فيعرج أثناء المشي وله بنون أربعة شهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله في أُحد المشاهد أمثال الأسد. وقد حضر أُحداً عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري أيضاً وهو أخو زوجته وأبو الصحابي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري.

حاول قوم عمرو بن الجموح أن يمنعوه من التوجه للقتال، فراحوا يقولون: أنت رجل أعرج ولا حرج عليك. وقد ذهب بنوك مع النبي صلى الله عليه وآله.

قال: يذهبون إلى الجنة وأجلس عندكم؟!

قالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته: كأني أنظر إليه مولياً وقد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي. فخرج ولحقه بعض قومه

يكلمونه في القعود فأبىٰ، وجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا رسول الله، إن قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال له: أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك.

لكن عمرو بن الجموح أصر على رأيه، فقال ﷺ لقومه وبنيه:

لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة.

خلىٰ قومه سبيله فتوجه إلى ساحة القتال وقاتل حتى قُتل.

من المشاهد المثيرة لإغارات هذا الرجل العنيفة على صفوف العدو أنه كان يحمل عليهم وهو يعرج برجله ويردد قوله في تمني الشهادة، فيتبعه أحد بنيه فقاتلا حتى رزقا الشهادة ونالها عبد الله بن عمرو أيضاً.

حضرت هند زوجة عمرو بن الجموح ساحة المعركة بأُحد فحملت شهداءها وأعزتها على بعير وسارت بهم نحو المدينة لتدفنهم فيها.

لاقت هذه السيدة ـ وهي في طريقها إلى المدينة تحمل جثمان زوجها وأخيها وابنها لتدفنها فيها ـ زوجات رسول الله ﷺ يتوجهن إلى أُحد ليستطلعن حال النبي ﷺ وقد أخذ منهن القلق والاضطراب مأخذاً. فسألت إحدى نساء النبي هذه السيدة الشجاعة عما لديها من أخبار فبشرتها بأنها تحمل خبراً ساراً.. أجل إن رسول الله ﷺ بخير وعلى ما يرام.. إنه قد سلم من نوائب القتال وهذا ما يهون على المسلمين أي

مصاب آخر.

ثم هتفت بأنها تحمل خبراً ساراً آخر.. لقد وهب الله وسام الشـهادة لرجالها المؤمنين وقال عز وجل ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[1].

سئلت هند يومها عما تحمل على ظهر الجمل، فقالت باعتزاز بأنـها تحمل جثمان أخيها وابنها وزوجها المستشهدين في ساحة القتال تمضي بها إلى المدينة.

امسكت هند بلجام البعير فكانت كلما وجهته إلى المدينة برك وتثاقل في السير.

قالت إحدىٰ زوجات النبي ﷺ بأنها ربما أثقلت حمل البعير ولهذا يحجم عن السير، فأجابت بأنه بعير قوي للغاية وبوسعه أن يتحمل حمل بعيرين فلا بد لتثاقله من دافع آخر لأنه كان كلما توجهه نحو المدينة برك وإذا وجهته إلى أُحد أسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ وهي تصحب البعير يحمل جثمان الشهداء، فأخبرته بأمر البعير وما كان من منحىٰ سيره.

قال ﷺ: إن الجمل لمأمور، هل قال عمرو شيئاً؟.

قالت: نعم، إنه لما توجه إلى أُحد استقبل القبلة ثم قال: اللهم لا تردني إلى أهلي وارزقني الشهادة.

---

١ ـ سورة الأحزاب، الآية (٢٥).

فقال ﷺ: **فلذلك الجمل لا يمضي.**

أخبرها رسول الله ﷺ بأن الله استجاب دعاء زوجها، وقد قضت مشيئته أن يمنع عودة هذه الأجساد إلى حيث دار (عمرو) وأن عليها أن تواريها التراب في تلك الأرض (أُحد). ثم قال:

يا هند، قد ترافقوا في الجنة جميعاً، بعلك وابنك وأخوك.

فقالت هند وهي تبكي:

يا رسول الله، فادع الله لي عسىٰ أن يجعلني معهم.

أمر النبي ﷺ أن يجمعوا القتلىٰ فصلى عليهم ومكث لديهم حتى دفنوا. يذكر أن رسول الله ﷺ أمر بدفن عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد[1].

كما يروي الشيخ القمي (رحمه الله) في كتابه «منتهى الآمال»[2] أنه لما سال الفيضان وجرفت المياه قبر عبد الله، شوهد جسده وهو يضع يده على محل جرحه، فلما أرخوها سالت الدماء منه مما اضطرهم لاعادة يده إلى حيث تموضعت. وقد ذكر جابر بن عبد الله الأنصاري أنه شاهد جسد أبيه بعد (٢٦) سنة وهو على ما كان عليه حين دفنه دون أي تغيير وكأنه يغط في النوم وأعشاب الحرمل الملقاة على ساقيه ما زالت يانعة.

---

١ ـ راجع بحار الأنوار، المجلد (٦)، ص ٤٦١.

٢ ـ المجلد (١)، ص ٦٣.

أنموذج من نماذج المقاتلين

يذكر شداد بن هادي بأن اعرابياً جاء الرسول ﷺ يعلن عن إيمانه برسالته ودينه ويخبره أنه سيرافقه في هجرته. فقبل الرسول ﷺ ذلك وأوصى به أحد أو عدة من أنصاره.

ثم وقعت معارك جمع فيها المسلمون غنائم قسمها الرسول ﷺ بين الجميع، فنال منها الرجل نصيبه متسائلاً: ما هذه؟ فأبناه ﷺ بأنها نصيبه من الغنائم.

أجابه الإعرابي بأنه لم يتبعه لهذا الغرض بل أنه استهدف بذلك أن يصاب بسهم في نحره فيهلك وينال بإصابته الجنة.

أكد له رسول الله ﷺ أن الله سيصدقه لا محالة وعده إن هو صدق في عهده مع الله.

لم يمض طويلاً حتى اضطر المسلمون لخوض معارك أخرىٰ واندلع القتال ثانية، فإذا بالمسلمين يحملون جسده إلى الرسول ﷺ وقد أصيب بسهم في ذات المحل من نحره (الذي أشار إليه وهو يحادث رسول الله ﷺ).

تساءل ﷺ عما إذا كان هو ذلك الشخص ذاته؟ فأجيب بأنه هو.

أخبرهم ﷺ أنه قد صدق الله عهده فصدقه الله وعده.. تم تكفين الرجل برداء من أردية الرسول تنفيذاً لأمره ﷺ ثم وقف على جثمانه وصلى عليه وراح يبتهل إلى الله بشأنه بأنه عبده قد هاجر ثم استشهد في سبيله وأنه شاهد على ذلك[1].

---

١ ـ عن كتاب «النهضة التكاملية» (انقلاب تكاملى)، المجلد (١)، ص ٢٩٢.

عدي بن حاتم:

«ما أنصفت علياً إذ قتل وبقيت»

في الفترة التي تلت استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهيمنة معاوية بن أبي سفيان على خلافة المسلمين وقعت تلقائياً مشاحنات بينه وبين الأفياء من أصحاب الإمام علي عليه السلام.. كان معاوية يسعىٰ حثيثاً لنيل الاعتراف منهم بأنهم لم يكسبوا منفعة من حبهم وولائهم للإمام عليه السلام بل خسروا كل ما لديهم في سبيل مؤازرته وتأييده. كان يجهد لأن يحصل على إفصاح ولو شخص واحد منهم بشأن ندمه على ذلك ولكن أمله هذا جوبه بالفشل فخاب أمله ولم ينل التحقيق أبداً، فقد تيقن الشيعة من أتباع الإمام علي بعد شهادته من عظمة شخصيته وجلال شأنه أكثر فأكثر وقد انتهجوا في سبيل حبهم له وولائهم لنهجه واحياء له، نهج الشهامة والشجاعة والصراحة والفداء أكثر مما كانوا عليه في زمان حياته عليه السلام. وكانت لمساعي معاوية أحياناً ردود فعل عكسية حيث تترك مشاعر شيعة علي عليه السلام وعقائدهم أثرها البليغ في نفسه هو وبطانته أيضاً.

ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام المخلصين، المتفانين والبصيرين عدي ابن حاتم وكان يرأس قبيلته وقد رزقه الله بعدة بنين. كان هو وأبناؤه

«طرفة» و«طريف» و«طارف» وسائر أبناء قبيلته جنوداً أوفياء متفانين في سبيل نهج علي عليه السلام. وقد استشهد أبناؤه الثلاثة بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفين.

بعد سنين تلت معركة صفين ومن ثم استشهاد الإمام علي عليه السلام وتسلم معاوية لزمام الخلافة عنوة، شاء الدهر أن يدخل عدي بن حاتم على معاوية، فقال معاوية محاولاً استفزاز عدي بإحياء الذكريات المرة في مخيلته لعله يستجر منه الاعتراف بما ناله من مضار (حسب رأيه) جراء ولائه للإمام علي عليه السلام:

يا عدي أين الطرفات؟ يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطرفة.

قال: قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدم بنيك وأخّر بنيه.

قال: بل ما أنصفت أنا علياً إذ قُتِل وبقيت.

قال: صف لي علياً.

فقال: إن رأيت أن تعفيني.

قال: لا أعفيك.

قال: كان والله بعيد المدىٰ شديد القوىٰ، يقول عدلاً ويحكم فصلاً، تتفجّر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة طويل

الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا ويقلّب كفيه على ما مضىٰ، يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين ويتحبب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله، فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه ودموعه تتحدر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن اسمعه وهو يقول: يا دُنيا اليّ تعرضت أم إليّ أقبلت، غُرّي غيري لا حان حينك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعيشك حقير وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبُعد السفر وقلة الأنيس.

المدحث القمي (ره) وقوله في عدي

يقول المحدث القمي (ره) بأن عدياً أقام في الكوفة والتزم ركب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في واقعة الجمل وصفين ونهروان. وكانت إحدىٰ عينيه قد ذهبت إثر جراح نالتها في الجمل وأنه ارتحل إلى ربه في الكوفة في السنة الثامنة والستين للهجرة. وعندما ورد يوماً على معاوية ابن أبي سفيان سأله لماذا لم يصطحب معه أبناءه طرفة وطارفاً وطريفاً، فأنبأه عدي بأنهم قتلوا بين صفوف مقاتلي علي عليه السلام، في صفين.

أردف معاوية: ما أنصفك علي، قتل أولادك وأبقىٰ أولاده.

فقال عدي:

«ما أنصفت علياً إذ قُتِل وبقيتُ».

قال معاوية يتوعده بأن هنالك قطرة من دماء عثمان لا يثأر لها إلّا بإراقة دم شريف من أشراف اليمن. فأجابه عدي يقسم بأن القلوب التي يعتلجها الغضب على معاوية ما زالت في صدورهم والسيوف التي قاتلوه بها ما انفكوا يشدونها على عاتقهم، ثم حذره من أن يحاول الاقتراب منهم شبراً على طريق الخداع لأن تحمل قطع الرقاب وسكرات الموت أهون عليهم من سماع أي كلام غير صحيح ضد الإمام علي عليه السلام، وأن سيوفهم معدة للدفاع.

لم ير معاوية المصلحة في إثارة غضبه في تلك الأوان فحوّل مجرى الحديث إلى غير ذلك، وأمر بتدوين عبارات عدي فإنها عبر وحكم[1].

---

١ ـ راجع منتهى الآمال، المجلد (١)، ص ١٥٢.

حنظلة غسيل الملائكة

كان حنظلة شاباً لم يمض من عمره أكثر من أربعة وعشرين عاماً. كان المقرر أن يتزوج ليلة وقوع غزوة أُحد. ولما طرق سمعه نداء الجهاد تحير من أمره، فهل يمكث الليل ويتزوج زوجته، أو أن يلتحق فوراً بصفوف جيش المسلمين ويترك العرس. جاء إلى رسول الله والحيرة تلفه فاستأذنه أن يبقىٰ ليلة واحدة في المدينة ويلتحق في الغد بساحة القتال. فنزلت الآية على رسول الله:

﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾[1].

أذن له رسول الله ﷺ أن يمكث ليلة لإجراء مراسيم العرس. وفي اليوم التالي أعد حنظلة عدته للالتحاق بساحة القتال قبل أن يغتسل.. ولما عزم على ترك الدار فاضت من الدموع عينا زوجته التي لم يمض على عرسها أكثر من ليلة واحدة فاستمهلته لحظات حتى أشهدت أربعة من الرجال مكثوا في المدينة لأعذار تمنعهم من الالتحاق بركب

---

١ ـ سورة النور، الآية (٦٢).

المسلمين بأنها قد قضت ليلتها مع زوجها فإن انجبت طفلاً فسيكون لحنظلة، ففارقها حنظلة وخرج من الدار.

أخبرت الزوجة الرجال الأربعة بأنها شاهدت في المنام ليلتها أن السماء انشقت حتى ولجها زوجها ثم التأمت ثانية. وأنها أحست أن منامها يوحي إليها بأن روح زوجها سيلحق نحو السماء وأنه سينال عز الشهادة.

في مثل هذا الموقف قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفسي بيده لغدوة في سبيل الله وروحة خير من الدنيا وما فيها»[١].

الرسول (ص) يسأل عن الطموح والشاب يجيب: الشهادة، الشهادة:

تذكر في وصف أصحاب صاحب الأمر والزمان الإمام المهدي عليه السلام عبارة طالعتها في مصادر عدة: وهي: «رهبان بالليل وليوث بالنهار»[٢].. أجل إنك إن عدتهم في الليل لوجدتهم كالرهبان ولو لاقيتهم في النهار لمثلتهم بالأسود.. هكذا كان أيضاً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.. يروي الكليني في الأصول من الكافي رواية يتناقلها كلا الشيعة والسنة وقد ارتجز فيها الشاعر الإيراني «مولوي» شعراً جميلاً أيضاً.. يذكر أن

---

١ ـ راجع الجامع العباسي للشيخ البهائي. كتاب الجهاد، ص ١٥١.

٢ ـ سفينة البحار، مادة «صفف».

الرسول عليه السلام، كان دائم الزيارة والتفقد لأصحاب الصفة، وفي يوم من الأيام قصدهم بين الطلوعين وقد حل المساء ليزورهم كعادته فأبصر شاباً وهو يتلوىٰ على حال غير طبيعية فأمعن النظر إليه فوجده وعيناه تغوران في حدقيتهما وقد شحب لونه بشكل غير مألوف.. كان وضعه ليس على ما يرام على أية حال.

قال رسول الله يتساءل عن حاله: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت موقناً يا رسول الله. ويقصد أنه قد أصبح يرى ببصيرته صدق كل ما انساق على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وطرق أذنيه هو.

استوضحه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يشير إلىٰ أن لكل شيء دلالاته، فقال: ما علامة يقينك؟

قال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي واظمأ هواجري. أجل، فكل من ينال درجة اليقين في إيمانه يحيى ليله في عبادة الله ولا يقضي نهاراً مفطراً قط.

استزاده الرسول صلى الله عليه وآله بأكثر من هذا، فقال بأنه يشعر وهو يحيا في هذه الدنيا بالضبط كما لو كان يشاهد الآخرة ويحضرها فيسمع أصداء ترد أذنيه منها.. إنه يسمع أصوات أهل الجنة وهم يسرحون فيها وأصوات أهل النار وهم يضجون في جهنم. ثم استأذن الشاب رسول الله بأن يذكر له أسماء أصحابه فرداً فرداً وأيهم في الجنة وأيهم في النار فأنكر عليه رسول الله ذلك وأمره بالصمت. ثم سأله عن طموحه وبم

يتحدد. فهتف: الشهادة، الشهادة في سبيل الله.. فكانت تلك عبادته وهذا طموحه، ذلك ليله وهذا نهاره، ومثل هذا يدعى المؤمن في الإسلام ومثل هذا يدعى الإنسان في الإسلام[1].

---

١ ـ عن كتاب «الانسان المتكامل»، ص ٦٠ ـ ٦١.

حبيب النجار يقول عند استشهاده

﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾[1]

يتطرق القرآن المجيد إلى ذكر «حبيب النجار» المشهور بـ «مؤمن آل ياسين» وقد كان من طلائع الصديقين الذين حكم عليهم بالموت لدعوتهم الناس إلى الإيمان بالمرسلين.. ارتقى حبيب منصة الموت لا لجريمة اقترفها سوى دعوته الناس إلى التمسك بالحق، ارتقاها وهو ينظر إلى زمرة الآثمين الذين جاؤوا يتفرجون على مشهد موته وهم يعربون عن ابتهاجهم وقد كان من ذي قبل يرصد جبابرة زمانه يسرهم اقتراف الجرائم ما فظع منها وراع.. إنه من جهة أخرىٰ يتطلع وفي لحظات استشهاده إلى نجاحه، نصره وفوزه وهو يرىٰ ملائكة الرحمة تفتح أحضانها لاستقباله ويقف على صدق ما وعد ربه.. إن غمام الرحمة الربانية ألقت بظلالها على رأسه في تلك الأوان ورشقته بأمطار الرأفة الإلهية..

---

١ ـ سورة يس، الآيتان ٢٦ و٢٧.

الضحك يرتسم على أفواه المتفرجين الجهلة والسرور لاح على العملاء الأدنين في غفلة منهم بأنهم باعوا السعادة الأبدية بقليل من نشوة الدنيا الفانية فخسروا شرفهم لصالح من افتقدوا الشرف أساساً. فابشر حبيب بالسعادة السرمدية وبالكمال الإنساني النموذجي ولسان حاله يقول:

﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾.

ليت القوم كانوا يدركون كنه تلك اللحظات السارة المبشرة بالسعادة المترتبة على الشهادة وهم يخططون لفناء حبيب والابتسامات تعتلي شفاههم للقضاء عليه.. ليتهم كانوا يدركون أنه استقبل الشهادة متعجلاً وأنه فاز بأفضل منال وبأسمي مقام يسع الانسان المتكامل نيله كما نال جميع الشهداء على مر تاريخ الإنسانية هذه الحيوية اللا متناهية وهذا الفوز العظيم والسعادة الكبرىٰ والفلاح الأبدي[1].

مؤمنون لم يهابوا تهديد فرعون:

يطالعنا القرآن الكريم بحكاية السحرة الذين تنبهوا لحقيقة رسالة النبي موسىٰ عليه السلام وآمنوا بصدق ما جاءهم به حيث اطلق لهم الطاغية فرعون تهديداته وأخذ يتوعدهم بأن يقطع إحدى يديهم وإحدى رجليهم من خلاف (أي أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرىٰ أو بالعكس) وأن

---

١ ـ «فلسفة الشهادة»، ص ١٧٦.

يصلبهم.

أجابه السحرة السابقون الذين انقلبوا إلى مؤمنين موقنين بالحق بأنهم لا يهابون ذلك فلا ضير ولا خوف عليهم من الصلب والقتل لأنه بـذلك يسلبهم حياة فانية ليفوزوا عند ربهم بحياة سرمدية سعيدة تتسم بكمالها (لأنهم فضلوا الشهادة في سبيل الله) وسيفوزون بلقائه والأمل يشدهم أن يغفر ربهم خطاياهم لكونهم أول المؤمنين.

﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون* لأُقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين. قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون* إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أوّلَ المؤمنين﴾[1].

---

١ ـ سورة الشعراء، الآيات (٤٨ ـ ٥٠).

عبد الله بن رواحة

لما شايع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله برفقة ثلة من المسلمين جيش المقاتلين المتجهين إلى مؤتة حتى (ثنية الوداع)، ودع المشايعون المقاتلين كعادة العرب بالقول:

«دفع الله عنكم وردّكم سالمين غانمين».

اعترض عبد الله بن رواحة قائد الجيش على قولهم فردّ عليهم ببيت من الشعر جاء فيه:

لكنني أسأل الله مغفرة   وضربة ذات قرع تقذف الزبدا

وفي بيت آخر ينسب إليه قال:

حتى يقال إذا مرّوا على جسدي   أرشده الله من غاز وقد رشدا[1]

استبان المسلمون من هذين البيتين أن عبد الله قد ألهم بأنه سيستشهد في هذه المعركة وقد تحقق إلهامه بالفعل.

وقد نعىٰ النبي جعفراً وزيد بن حارثة وابن رواحة قبل عودة جيش المسلمين من واقعة «مؤتة» إلى المدينة، نعاهم وعيناه تذرفان[2].

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (٢١)، ص (٦٠).

٢ ـ أعلام الورىٰ للطبرسي، ص ١١١.

تمنيات عبد الله بن حذافة على أعتاب الشهادة

لما وقع فريق من المقاتلين المسلمين، بلغ عددهم الثمانين شخصاً في أسر الروم وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب، جاؤوا بهم إلى إمبراطور الروم الذي عرض عليه التنصر ذاكراً أن خلاصهم من الموت رهن بتقبلهم له، وأنه سيعاقبهم ويفنيهم إن هم رفضوا اقتراحه. لم يستجب أي من المقاتلين له، فاغلي الزيت في أناء كبير وأعرب الإمبراطور عن نيته في إلقائهم في الزيت إن أبوا تلبية طلبه.. تقبل الجميع الشهادة باعتزاز في سبيل إسلامهم العزيز دون أن يخرج منهم أحد عن هذا القرار الجماعي وأتي برجل من أسرى المسلمين فعرضت عليه النصرانية فأبىٰ فألقي في الزيت المغلي فإذا عظامه تلوح ثم عرض على عبد الله بن حذاقة القرشي السهمي النصرانية فأبىٰ فأمر به أن يلقىٰ في الزيت المغلي فبكىٰ. تصور الجمع أنه بكىٰ خوفاً من العقاب، فقالوا: قد جزع، قد بكىٰ .

قال كبيرهم: «ردّوه..» ثم عرضوا عليه تلبية اقتراح الإمبراطور لينجو من القتل.

قال: «لا ترىٰ أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلّا نفس واحدة يفعل بي هذا في الله، كنت أحب أن يكون

لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ..».

اندهش الامبراطور لسماع كلامه وقد تيقن من صدقه وصفائه وأحب أن يطلقه فقال له: تنصر وأطلقك.

قال: ما أفعل.

قال: تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي.

قال: ما أفعل.

أبهر اصراره على الرفض الامبراطور. فما الذي منحه الإسلام لهؤلاء وما الذي فعله إيمانه بهم ليأبوا عن تقبل ما يتفانىٰ غيرهم في سبيل الحصول عليه. ففكر أنه يستحيف قتل مثل هذا المقاتل من جهة ويتعذر عليه من جهة أخرىٰ إطلاقه دون مقابل، فقال له: قبّل رأسي وأطلقك.

أبىٰ عبد الله ذلك وأجاب رداً على استفساره عن السبب بأنه مسلم والامبراطور كافر وأن الإسلام لا يأذن للمسلم أن يحط من شأنه إزاء الكافر فقد قال الله عز وجل:

﴿لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾.

حقاً، إن الإسلام دين العز والاستقلال وقد أكد الإمام الصادق عليه السلام أن الله فوض للمؤمن تقرير مصيره إلّا في حالتين حدد عليه السلام إحداهما في قتل النفس أي الانتحار، والأخرىٰ في التذلل والنحطاط أي أن يتذلل ويحط من شأنه إزاء الآخرين. وهذا ما جعل السؤال من الغير مكروهاً

في الإسلام إلّا في حالة طلب العلم لأن: مفتاح العلم السؤال.

وقد جاء في تحف العقول عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله:

«من أقر بالذل طائعاً فليس منا».

إنها النشأة الإسلامية التي تصد المقاتل عن تقبيل امبراطـور لانـقاذ حياته وتدفعه لتحاشي التذلل للكافر حرصاً على الأيام القليلة المتبقية من عمره وإن كان ذلك الكافر إمبراطوراً جباراً.

انزعج الامبراطور من إباء عبد الله فما كان منه إلّا أن قال: قبّل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

أطرق عبد الله بن حذاقة وطاطأ برأسه وهو يفكر أن يـتحمل هـذه الصعوبة حفاظاً على حياة إخوته وإلّا فإنه لن يـفعلها أبـداً فـي سـبيل خلاصه هو، فقال: «أما هذه فنعم». فقبّل رأسه وأطلق وأطلق معه ثمانون من المسلمين وبهذا عادوا إلى المدينة المنورة بعد أن أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين[1].

---

١ ـ راجع سفينة البحار، المجلد السادس، ص ٥٣ ـ ٥٤.

شهداء العقيدة

يشير محمد جواد مغنية في كتاب له حول مكانة القيم الأخلاقية في التفسير المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام إلى حديث لهذا الإمام الهمام يؤكد فيه أن المؤمن وإن قتل ونشر ثم قتل ونشر لن يتزعزع إيمانه. فالحر حر في جميع الظروف والمواقف. إنه يتجلد عند تواتر الأحداث السيئة عليه ولن تغلبه المصائب والرزايا وإن تكالبت عليه، سيان لديه أن يؤسر أو يغلب أو يتحول سراؤه إلى ضراء.

فتاريخ الشهداء يحكي لنا قصة العقيدة والتمسك بالمبادئ والعقائد ولولا دماء الشهداء لما بقي للإسلام ولا لآثاره ذكر. وهكذا احتفظت أية عقيدة كتب لها البقاء باسمها معلناً.

نستشف من هذا الكتاب أن «غوستا لوبون». وفي كتاب «الثورة الفرنسية» يعزو انتشار مذهب «البروتستان» إلى ما تعرض له اتباعه من ضغوط، وأن مقتل أي من أتباعه أفرز بالتالي نتيجة آلت إلى تهافت الناس نحو هذا المذهب الجديد. ولهذا أنتجت المذابح والحرائق ازدياداً في عدد البروتستان فاق زيادة عدد الكتب وفاق عدد المحاضرات

الملقاة.

يعود محمد جواد مغنية ليؤكد أن هذه الظاهرة تصدق فيما يخص التشيع أيضاً، فمع عدم تشكيكه بدور ورسالة العلماء والخطباء في تعزيز مكانة هذا المذهب العظيم إلّا أنه يرى لولا واقعة كربلاء ولولا هذه النهضة الدموية ولولا مضي حجر بن عدي ورشيد الهجري وعمرو بن حمق وكميل بن زياد وأمثالهم نحو الشهادة وتهافتهم عليها لما كنا نشهد تبلور هذا الإخلاص والود الذي يكنه ملايين الناس ومن صميم القلب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم يردف بأننا عندما نثمن ونحترم دماء الشهداء ونحتفظ بذكر مواقفهم الشجاعة وبطولاتهم وتفانيهم بين الناس إنما نعزز دور ورسالة العلماء والمروجين للدين.

يقول مغنية بأن شهداء العقيدة آثروا التضحية بأرواحهم وقدموها ببساطة ولكنهم لم يضحّوا بدينهم ولم يدفعهم لذلك هدف سوى تلبية نداء الحق لا ضمان مصالحهم وأهدافهم الشخصية الآيلة لا محالة إلى الفناء بشكل أو بآخر. ولا يبقى خالداً أزلياً إلّا الحق وأن المؤمنين المخلصين الذين ثبتت قلوبهم على الإيمان لن ينثنوا عن درب الحق وإن قُتلوا ثم أُحيوا ثم قُتلوا ثم أُحيوا لأنهم الرمز الحقيقي لجلال وهيمنة الحق. وتتبلور هذه الحقيقة في أتم معانيها كما يقول مغنية في كلام مسلم بن عوسجة وهو يرد على سيد الشهداء يوم عاشوراء حيث قال:

«أما والله لو علمت أني أُقتل ثم أُحيى ثم أُقتل ثم أُحيى ثم أُذرّ في الهواء يُفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك».

زهير بن القين البجلي يرغب في الموت ألف مرة فداء للحسين (ع)

قال زهير بن القين يرد على الإمام الحسين عليه السلام لما فوّض إلى أصحابه أمرهم وخيّرهم بين الانصراف عن ساحة المعركة بكربلاء أو المرابطة فيها: وددت أني أُقتل ثم أُنشر ويفعل بي هكذا ألف مرة وأن يدفع الله عنك القتل بذلك.

ولما أذن له الحسين عليه السلام بالقتال قتل من الظلمة تسعة عشر رجلاً ثم صُرع وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذبكم بالسيف عن حسين

سعيد بن جبير يستقبل الشهادة ضاحكاً

سمعتم اسمه بالتأكيد... إنه هو المستشهد عن عمر يناهز التسعة والأربعين عاماً. وكان من أجلّ علماء وفقهاء زمانه، وقد لمع خاصة في الفقه والتفسير.

قضىٰ جل حياته يتتلمذ على يد ابن عباس يأخذ عنه ما اكتسبه بدوره من أمير المؤمنين علي عليه السلام. وكان أحياناً يقضي الليل (وقد تكون ليالي الشتاء الطويلة) في إقامة ركعتين من الصلاة يقرأ في كل منها (١٥) جزءاً

من أجزاء القرآن الكريم. وقد روىٰ حتى السنة في أحواله بأن المسلمين جميعاً سواء في مشارق الأرض أو مغاربها كانوا بحاجة إلى علمه فيقول صاحب كتاب «حياة الحيوان» وهو من العلماء السنة بأن قحط الرجال وفناء الفقهاء سواه، ألزم الجميع الحاجة إلى علمه.

كان سعيد بن جبير أسوة ورمزاً للزهد والتقوىٰ. ولكنه مع عظم شأنه كان من المتتلمذين على يد الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وقد حمل كل ما امتاز به من ذخيرة علمية ومعنوية من الإمام علي بن الحسين عليه السلام أو من ابن عباس الذي أخذه بدوره عن الإمام علي عليه السلام. كان يقتدي في صلاته بالإمام السجاد عليه السلام أثناء إقامته في المدينة وما جيء على ذكر الإمام عليه السلام في مجلسه إلّا وبادر لإكالة المدح والإطراء عليه عليه السلام.

وبهذا كان العتاة يرون أنهم كلما أطفأوا نوراً من أنوار أهل البيت عليهم السلام يظهر لهم نور آخر. أطفأوا نور ميثم، نور عمار، نور رشيد الحجري فقضوا عليهم وعلى غيرهم وإذا بهم يجدون العالم العظيم سعيد بن جبير وقد انكبّ على مدح أهل بيت العصمة والطهارة. أنبئ الحجاج (لعنه الله) وهو المولع بقتل أصحاب أهل البيت عليهم السلام أن سعيداً قد توجه إلى الحج. عند عودته بعث إليه الحجاج بعشرين من رجاله وقد عين أحدهم مديراً للركب وحدد لهم جائزة كبرىٰ ثم أنه أقسم بتحريم نسائهم عليهم إن فشلوا في القبض على سعيد بن جبير الذي كان قد اعتصم في طريق مكة فبعثهم يطلبونه حتى وصلوا صومعة لراهب سألوه إن كان قد رأىٰ سعيد

ابن جبير في تلك الناحية.

أجابهم الراهب بأنه لا يعرفه. فوصفوه له فأخبرهم بأنه قد رأى شخصاً بمثل هذه الأوصاف قد يمم وجهه نحو هذه الطريق وأن عليهم أن يسلكوها إن كانوا يطلبون الرجل.

امتثل رجال الحجاج لما نصحهم به الراهب فمضوا في تلك الطريق حتى بلغوا صحراء وجدوا فيها سعيداً وهو يسجد على رمالها يناجي قاضي الحاجات على نحو حزّ قلوبهم ومنعهم من التقرب منه حتى فرغ من صلاته فتقدموا إليه وحيوه ثم أخبروه أن الحجاج يطلبه وأن عليه تلبية دعوته..

سألهم سعيد بن جبير إن كان ملزماً بذلك فأجابوه أنه ملزم بذلك.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي طريق العودة مروا على صومعة الراهب وكان المساء على وشك الحلول. فقال لهم الراهب أن تلك الصحراء محفوفة بالأهوال والأخطار وإن فيها أسداً ولبوة يحومان فيها منذ غروب الشمس ويفتكان بكل إنسي يلمحانه فيها. وبعد قوله هذا دعاهم لدخول الصومعة.

أجاب الركب دعوته إلّا سعيداً فقد امتنع عن دخولها مهما ألحوا عليه، فسألوه إن كان ينوي الفرار.

أجاب بأنه لا يريد الفرار ولكن هذا المكان دار مشرك وأنه لا يرد دار مشرك.

أنذروه أنه سيغدو فريسة للأسد، فما عساهم عندئذ أن يجيبوا الحجاج.

هنا تتجلىٰ لوائح الإيمان والثراء المعنوي حيث قال هذا العالم الرباني: «إن معي ربي يحرسني».

أخبروا الراهب بأمره فطلب إليهم أن يعدوا السهام على الرماح ويتأهبوا لرشق الأسدين وهما يقدمان على سعيد لأن تدني حاله سيلقي به قريباً وهو على مثل هذا الوضع في التهلكة، لا سيما وأنه قد انقطع عن العالم إلى الله.

بعد غروب الشمس عزم سعيد بن جبير على إقامة الصلاة فقدمت اللبوة وتوجهت نحو سعيد الذي لم يتزعزع قط بل وقف يصلي.. اندهش الراهب لما يرىٰ خاصة أنه شاهد اللبوة انتظرت حتى أتم سعيد صلاته فوضعت رأسها في حجره ثم أخذت تمرغ وجهها في التراب قباله (وهذا نبأ مسّلم به يذكره المؤرخون السنّة أيضاً) ثم تنحت عنه بمجرد ايماءة منه بأن تمضي.

انشغل سعيد بصلاة النافلة فحضر الأسد وفعل ما فعلته اللبوة. وهكذا أخذا يحرسانه حتى بزوغ الفجر حيث مرغا وجهيهما بالتراب في الصباح وانصرفا عنه.

جاء الراهب سعيداً في الصباح آسفاً معتذراً يرجوه أن يرشده إلى طريقة الدخول في الدين الإسلامي الحنيف ثم أسلم على يده وأخذ عنه

شيئاً من أحكام الإسلام. ومما يثير العجب أن رجال الخليفة العشرين هم الآخرين ارتموا على قدمي سعيد وهم يخبرونه أنهم في حيرة من أمرهم وأنهم مضطرون لأخذه معهم فدعاهم لأداء المهمة المفوضة إليهم.

رجوه أن يمن عليهم ويصحبهم إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فاصطحبهم حتىٰ وصلوا مساء إلى مقصدهم فاستمهلهم سعيد فترة الليل قائلاً بأنه يعلم أنها الليلة الأخيرة من حياته وأنه يذكر ضيق القبر ووحشته ويرغب في الإعداد لليلته القادمة.

رفض أحدهم طلبه معللاً ذلك بأنه لو فرّ من أيديهم فإنه سيصبح من الصعب عليهم العثور عليه ثانية. ولكن آخر منهم طمأنه بأنهم قد عرفوا سجايا سعيد في هذه الفترة فإنه هو الذي لم يتناول لقمة طعام واحدة من أيديهم ولم يأت بحرام طوال فترة اصطحابهم له.. سأله إن كان يتعهد بذلك فأردف يقسم على ذلك.

دنا سعيد من الماء فتوضأ ثم انشغل بالصلاة والتضرع حتى الصباح وبعد بزوغ الفجر جاءهم ليأخذوه إلى الحجاج ففعلوا.

أخذ الحجاج يستجره نحو الإدلاء برأيه حول أبي بكر وعمر بهدف التذرع به، فأجابه سعيد أنه يجهل إن آل أمرهما إلى الجنة أو النار لأنه لم يزر الجنة.

استطرد الحجاج متسائلاً عما إذا كان علي أفضل من أبي بكر وعمر أم لا، فأجابه بأن الفضل لمن هو أقرب إلى الله.

انتاب الحجاج اليأس جراء خيبته في التشبث بأية ذريعة يستخرجها من كلام مخاطبه فأنهىٰ حديثه معه بالسؤال عن الطريقة التي يرتأي أن يقتله بها الحجاج.

أشار سعيد إليه بأن يقتله بالطريقة التي يود أن يعوضه الله عنها. فأمر أن يأخذوه إلى جرف النهر ويذبحوه هناك.

ضحك سعيد.. ولما سأله الحجاج عن سبب ضحكه رد عليه بأنه يعجب من حلم الله ومن صلافته هو (الحجاج). ثم تضرع إلى الله داعياً أن لا يمهل الحجاج لقتل أي شخص من بعده. وقد حدث ذلك بالفعل فقد ابتلي الحجاج برزايا أخذت برأسه وألحقته بالجحيم بعد (١٥) يوماً من استشهاد سعيد بن جبير (ره).

توجه سعيد قبل استشهاده بالدعاء إلى الله قائلا: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين﴾.

أمر الحجاج بتحويل وجهه عن القبلة ففعلوا. عندها قال فوراً:

﴿أينما تولوا فثم وجه الله﴾.

ثم وضع رأسه على الأرض، فأردف دون تريث:

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾.

صاح الحجاج مندهشاً ولم يمهلوه ثم أمر بالانقضاض عليه فضربوا عنقه.

حقاً كان هذا العالم الفقيه إسماً على مسمىً فقد عاش سعيداً بإيمانه ومات سعيداً بما أغناه الله من فضل هذا الايمان زاداً لآخرته، فمثل هذه الامثولات فازت بالثراء الحقيقي والذخر الواقعي.

ميثم التمار يسأل علياً (ع) إن كان يقتل على فطرة الإسلام

كان ميثم التمار من خـواص أصـحاب أمـير المـؤمنين عليه السلام ومـن أصفيائهم، بل هو وعمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر وأويس القرني من حواريّ علي بن أبي طالب عليه السلام وقد حمّله أمير المؤمنين عليه السلام بقدر قابليته واستعداده علماً وكان قد يترشح منه.

وقال لابن عباس ـ الذي كان تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام وأخـذ مـنه تفسير القرآن وكان رباني هذه الأمة بقول محمد بن الحنفية ـ: يابن عباس سلني ما شئت مـن تـفسير القـرآن فـإني قـرأت تـنزيله عـلى أمـير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله. فقال: يا جارية (هاتي) الدواة والقرطاس. فأقبل يكتب.

وروي أنه لما أمر به إلى الصلب نادىٰ بأعلىٰ صوته: أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بـن أبـي طـالب عليه السلام فـإليّ، فاجتمع إليه الناس وأقبل يحدثهم بالعجائب.

وكان رحمه الله من الزهاد وممن يبست عليهم جلودهم من العـبادة والزهادة.

وعن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي قال في ذكر ميثم:

وقد كان أطلعه علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خـفية مـن أسـرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشك فيه قوم من أهل الكـوفة وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرقة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة فيقضىٰ عليك فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة -يعني الأرض- ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها. ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها فيقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكـان يـرصد جذعها ويتعاهده ويتردد إليه ويبصره. وكان يلقىٰ عمرو بن حريث فيقول له: إني مجاورك فأحسن جواري.

ولا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له:

أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم؟.

وعن كتاب الفضائل، قيل:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يخرج من الجامع بالكوفة فيجلس عند ميثم التمار (رض) فيحادثه فيقال: أنه قال له ذات يوم:

ألا أبشرك يا ميثم؟

فقال:

بماذا يا أمير المؤمنين؟

قال: بأنك تموت مصلوباً.

فقال:

يا مولاي وأنا على فطرة الاسلام؟

قال: نعم.

وروي عن العقيقي أن أبا جعفرعليه السلام كان يحبه حباً شديداً وأنه كان مؤمناً شاكراً في الرخاء صابراً في البلاء.

وفي منهج المقال نقلاً عن الشيخ الكشي بسنده عن فضيل بن الزبير قال:

مر ميثم على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب: فكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حب أهل بيت نبيه ويبقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة. ثم افترقا. فقال أهل المجلس ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يتفرق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذاوكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر. فقال القوم: هذا والله أكذبهم. فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا.

وروي عن ميثم، قال:

دعاني أمير المؤمنين عليه السلام وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعي بني أمية (ابن دعيها) عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين والله لا أبرأ منك.

قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك. قلت: أصبر فذاك في الله قليل.

فقال: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي.

وروي عن صالح بن ميثم، قال: أخبرني أبو خالد التمار وقال: كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبت ريح وهو في سفينة من سفن الزيان. قال: فخرج ونظر إلى الريح فقال: شدوا سفينتكم إن هذا الريح عاصف، مات معاوية الساعة. قال: فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته فقلت: يا عبد الله ما الخبر؟ قال: الناس على أحسن حال. توفي أمير المؤمنين.. قلت: أي يوم توفي؟ قال: يوم الجمعة.

وروى الشيخ الشهيد محمد بن مكي العاملي (ره) عن ميثم (رض) أنه قال:

أصحر بي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ليلة من الليالي قد خرج من الكوفة وانتهىٰ إلى مسجد جعفي، توجه إلى القبلة وصلى أربع ركعات فلما سلّم وسبّح بسط كفيه وقال: إلهي، كيف أدعوك وقد عصيتك وكيف لا أدعوك وقد عرفتك وحبك في قلبي مكين. مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة وعيناً بالرجاء ممدودة ـ الدعاء بطوله ـ، وأخفت دعاءه وسجد وعفر وقال: العفو العفو مائة مرة، وقام وخرج فاتبعته حتى خرج إلى الصحراء وخط لي خطة وقال: إياك أن تجاوز هذه الخطة، ومضىٰ عني وكانت ليلة مدلهمة، فقلت: يا نفسي أسلمت مولاك وله أعداء كثيرة أي عذر يكون لك عند الله وعند رسوله، والله لأقفونّ أثره ولأعلمن خبره وإن كنت قد خالفت أمره، وجعلت أتبع أثره فوجدته عليه السلام مطلعاً في البئر إلى نصفه يخاطب البئر والبئر يخاطبه. فحس بي والتفت عليه السلام، وقال: من؟ قلت: ميثم. فقال: يا ميثم ألم آمرك أن لا تتجاوز الخطة؟ قلت: يا مولاي، خشيت عليك من الأعداء فلم يصبر لذلك قلبي. فقال: أسمعت ممّا قلت شيئاً؟ قلت: لا يا مولاي. فقال: ياميثم:

وفي الصدر لبانات[1] إذا ضاق لها صدري
نكتّ الأرض بالكف وأبديت لها سري
فمنها تنبت الأرض فذاك النبت من بذري[2]

١ ـ اللبانات بالضم: الحاجات من غير فاقة بل من همة.
٢ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠٠)، ص ٤٥١.

وروى الشيخ المفيد (ره) في الإرشاد:

إن ميثماً التمار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال له:

ما اسمك؟

قال: سالم.

فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم.

قال: صدق رسول الله وصدق أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي.

قال: فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع «سالماً»، فرجع إلى ميثم واكتنىٰ بأبي سالم. فقال له علي عليه السلام ذات يوم: إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو ابن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، وامضِ حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها. فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت...

وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة (رض) فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم. قالت: والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكرك في جوف الليل، فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت له: هو في حائط له. قال

أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون[1].

ولما أُسر ميثم في الكوفة جيء به إلى عبيد الله وهم يخبرونه أن الرجل كان أحب الناس عند علي عليه السلام فجرىٰ بينهما حديث، جاء في «نفس المهموم» أن عبيد الله قال:

«ويحكم هذا الأعجمي.

قيل: نعم.

قال له عبيد الله: أين ربك؟

قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة.

قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد.. قال: أخبرني ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك.

قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة.

قال: لنخالفنه.

قال: تخالفه! فوالله ما أخبرني إلّا عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء ولقد عرفت الموضع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله ألجم في الإسلام.

---

١ ـ نفس المهموم، ص ١٣٢ مع اختلاف يسير فراجع.

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد. قال له ميثم: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا.

فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله، فخلاه فأمر بميثم أن يصلب فأخرج، فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا. فتبسم وقال ـ وهو يومي إلى النخلة ـ: لها خلقت ولي غذيت. فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث. قال عمرو: قد كان والله يقول: إني مجاورك، فلما صلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم. فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد. فقال: ألجموه. فكان أول خلق الله ألجم فى الإسلام، وكان قتل ميثم (ره) قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبر ثم انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً.

وروي أنه اجتمع سبعة من التمّارين فاتعدوا بدفن ميثم، فجاؤوا إليه ليلاً والحرس يحرسوه وقد أوقوا النار، فحالت النار بينهم وبين الحرس فاحتملوه بخشبته حتى انتهوا به إلى فيض من ماء في مراد فدفنوه فيه ورموا الخشبة في مراد في الخراب، فلما أصبحوا بعث الخيل فلم تجد شيئاً»(١).

---

١ ـ راجع نفس المهموم، ص ١٣٣.

مسلمون فاضت أعينهم دمعاً لعجزهم عن القتال

ودّ فريق من المسلمين التوجه إلى ساحة القتال بتبوك فجاؤوا الرسول صلى الله عليه وآله والحماس يتأجج في كيانهم، وطلبوا منه أن يحملهم على الدواب ليساهموا في القتال فاعتذر النبي صلى الله عليه وآله وأخبرهم بأنه لا يجد من الدواب ما يحملهم عليها فخرجوا من عنده وعيونهم تفيض من الدمع لسماع هذه العبارة وقد أحزنهم فوت فرصة الإيثار والتضحية وأنهم لا يملكون ما ينفقونه في سبيل الله:

﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾[1].

ويستفاد من جملة من الروايات التي نقلها المفسرون في ذيل هذه الآية أن هذه الفئة حكمها يتبع حكم الفئات الثلاث التي تذكرها الآية (٩١) من سورة التوبة حيث لا ينتهي الأمر بعدم مؤاخذتهم على عدم المساهمة في القتال وتخلفهم عن ركب المجاهدين المقاتلين بل ينالهم

---

١ ـ سورة التوبة، الآية (٩٢).

ماينال المجاهدين كل على قدر اشتياقه وتحمسه للمشاركة. فنحن نقف على حديث عن النبي صلى الله عليه وآله حيث يروىٰ أنه صلى الله عليه وآله لما عاد من غزوة تبوك فأشرف على المدينة قال: لقد تركتم بالمدينة رجالاً ما سرتم في مسير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً إلّا كانوا معكم فيه.

قالوا: وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟!

قال: حسبهم العذر»[1].

---

١ ـ لمزيد من الاطلاع راجع تفسير الميزان، المجلد (٩)، ص ٣٨٦ أو تفسير الأمثل المجلد (٦)، ص ١٥٠ ـ ١٥٥.

فتى يرى الشهادة في سبيل الله أحلى من العسل

١٧ ـ جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه في خيمة عند قرب الماء أو قيل عند قرب المساء[١] فألقى فيهم خطبته المعروفة بخطبة عـاشوراء، نصرف النظر عن ذكرها بالتفصيل في هذا المكان، ولكننا نوجز مفادها بأن الإمام عليه السلام سرّح الجميع وأخبرهم بأنهم في حل من بيعته فلا حرج أو إرغام عليهم من باب الالتزام بما قطعوه على أنفسهم من عهد، فأذن للجميع بالانصراف: لأهل بيته أجمعين، لأبنائه، لأبناء إخوته و... حيث أكد لهم أن العدو إنما يطلب شخصه هو ولو قد أصابوه للهوا عن طلب غيره فلينطلقوا إلى مأمنهم تحت جنح الظلام فليس للعدو رغبة في كبح جماحهم. وقبل هذا يعظم عليه السلام قدرهم ويعلن عن رضاه عـنهم وبأنـهم أصحاب لم يعرف لهم في وفائهم مثيلاً، وأهـل بـيت لم يسـمع لبـرهم ووصالهم من نظير[٢].

---

١ ـ راجع بحار الأنوار، المجلد (٤٤)، ص ٣٩٢.

٢ ـ قال (ع): «إني لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي ولا أهـل بـيت أبـرّ

←

فجاءه الجواب جماعياً، إذ هبّوا يـقولون بأنـه كـيف لنـا ذلك، فـهل انطمست مودتنا لك ومسخت عواطفنا إزاءك؟!!

كيف لهم ان يتركوه وقد سمعوا منه ما يقطّع قلوبهم حزناً ويشهر سيوفاً غيظاً، فهذا يتساءل: وهل للنفس من قيمة تليق بافتدائـه عليه السلام بـها، ثـم يردف: «والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك.. والله لو علمت أني أُقتل ثم أُحييٰ ثم أُحرق حياً ثم أُذر.. ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقىٰ حمامي دونك.. وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»(١).

وآخر قال:

«والله لوددت أني قُتلت ثم نُشرت، ثم قُتلت حتى أُقتل كذا ألف مرة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية مـن أهـل بيتك..»(٢).

← وأوصل من أهل بيتي.. فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، الا وإني أظن يوماً من هـؤلاء الأعداء غداً.. ألا وإني أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام... هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً...» (تاريخ الطبري، المجلد (٤)، ص ٣١٧ـ٣١٨ وابن الأثير، المجلد (٣)، ص ٢٨٥، وبحار الأنـوار، المجـلد ٤٤، ص ٣٩٢ـ٣٩٣، وأعـيان الشيعة، المجلد (٤)، ق١، ص ٢٠٨ مع اختلافات ملحوظة.

١ ـ نقلها ابن طاووس في اللهوف (ص ٣٦) عن المجاهد الحسيني (سعيد بن عبد الله الحنفي) كما ذكرها المجلسي بفارق في العبارات عن مسلم بن عوسجة في المجلد (٤٤) من بحار الأنوار (ص ٣٩٣).

٢ ـ تاريخ الطبري والإرشاد للشيخ المفيد (ره)، ص ٢١٣ ـ ٢١٥، وبحار الأنوار، المجلد

وغيرهم[1] أُنبئَ في تلك الحال بأن ابنه قد أُسر بثغر الري، فقال: «عند الله أحسبه ونفسي، ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده» فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال: رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاعمل على فكاك ابنك. فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك. قال: فاعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

وكان أخوه أبو الفضل العباس عليه السلام ومن ثم جميع بني هاشم بدأوهم بمثل هذا القول وتبعتهم الجماعة فتكلموا بمثله ونحوه.. وما أن سمع أبو عبد الله الحسين عليه السلام كلامهم حتى غيّر سياق حديثه ليطلعهم على حقائق يخبئها لهم الغد وبلايا مقبلة عليهم بعد ساعات فأخبرهم أن القتل مآلهم لا مناص لهم منه فاستبشروا خيراً بالشهادة ومنهم هذا الشاب اليافع الذي طالما ظلمه المسلمون برأيهم فحسبنا العرس منتهىٰ أمله، إذ راح يتساءل بما يفصح عن منتهى أمله..

كانت من آداب المعاشرة المتبعة أن لا يجلس فتى في الثالثة عشرة من العمر بين الرجال عند اجتماعهم بل يستظهرهم في مجلسهم، وهذا ما فعله فتانا، فقد جلس خلف الأصحاب يتطلع إليهم ويرهف السمع لما يقولون وما يقررون، وعندما بلغ مسامعه إعلان الحسين عليه السلام عن نبأ شهادة الركب أجمعين، فكر ملياً فيما أن الأمر سيشمله أم لا. فقد

← (٤٤)، ص ٣٩٣ (نقلاً عن زهير بن القين البجلي).

١ ـ وهو محمد بن بشر الحضرمي.

يحتسب صبياً! ويكون المراد بكلام الإمام هو استشهاد الرجال وهو دونهم سناً، فالتفت إلى الإمام وسأله:

«وأنا في من يقتل؟».

انظروا إلامَ يطمح هذا الفتى؟...

إرتأى الإمام أن لا يجيبه إلّا بعد رده على استفسار يوجهه له، وأقول أن الإمام عليه السلام استهدف بذلك تحقيق غاية، فقد كان يقصد بهذا تبيين الحقيقة للأجيال القادمة لئلا يخيل إليهم أنه قد أقبل على الموت اعتباطياً دون رأي سديد أو تفكير مسبق لبيب وأن يحجموا عن القول بأن العرس كان طموحه الأخير والزواج أمنيته النهائية فيخلّدون ذكره بإعداد العروس في ذكراه وأن يكفوا عن إجحاف حقه.

سأل الحسين عليه السلام ابن أخيه يستطلع وضع القتل في رأيه والشهادة في مذاقه: كيف الموت عندك؟

فأجاب حالاً:

«أحلى من العسل»».

فليعلم الراغب في استبانة الحقائق أن منتهىٰ أمله كان الموت في سبيل الله وكان يحسبه أحلىٰ من العسل.

إنه موقف مثير تصعق له القلوب.. موقف من مواقف كثيرة خلّدت ذكر هذه الواقعة التاريخية العظيمة وألزمتنا مسؤولية إحيائها على حقيقتها ورعاية عظمتها والحفاظ على ندائها[1].

---

١ ـ نقلاً عن كتاب «حماسه حسينى» (الملحمة الحسينية)، المجلد الأول، ص ٢٧ ـ ٢٩.

عبد الله بن جعفر زوج عقيلة أهل البيت (س)

يرجو مرافقة أبنائه وسبقهم بالشهادة

١٨ ـ حالت شيخوخة عبد الله بن جعفر، زوج عقيلة آل هاشم السيدة زينب عليها السلام ـ أو مرضه الشديد بحسب بعض الروايات ـ دون التحاقه بقائده الإمام الحسين عليه السلام في رحلته نحو كربلاء فلبث في المدينة وأرسل معه نور عينيه وأعزّ ما لديه، ولديه محمداً وعوناً وهو يشير إليهما بمرافقة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لما وصل نبأ استشهادهما إلى المدينة شق «أبو السلاسل»، وهو مولى لعبد الله، جيبه لشدة ما أصابه من هم وحزن فجاء عبد الله مشدوهاً باكياً وهو ينوح على محمد وعون ويناديهما فهما العزيزان لديه.. هما من لا يرىٰ في البرية أجمل سيماء منهما.. هما الدران الثمينان.. هما المفضلان اللذان حسبهما أذنيه اللتين يسمع بهما وعينيه اللتين يرىٰ بهما.. هما الأرجحان اللذان شبههما بلب عظامه..

وأخيراً قال (مسيئاً الأدب) بأن هذا البلاء إنما حل بهم بسبب الحسين

فإنهما لم يكونا متعرضين للشهادة لولا مرافقتهما للحسين.

أما عبد الله فما أن بلغه خبر شهادة ابنيه حتى قال بادئاً: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

ثم ألقىٰ نظرة، تنم عن غضبه وتلوح بسخطه على غلامه وصاح فيه مستنكراً وقاحته، كيف له أن يسيئ الأدب في حظيرة الحسين النزيهة، ثم أنه حمد الله وأثنىٰ عليه أنه رزق ولديه الشهادة في ركب الحسين عليه السلام ويا ليته رزقه القدرة على مرافقتهما والسبقة في الشهادة منهما.

ثم أنه عاد ليقسم بالله أنه غض البصر عن ولديه في سبيل نهج الحسين وأنه أوصاهما بالتفاني في سبيل الحسين عليه السلام وها هو يرىٰ في شهادتهما ما يطيب باله ويهدئ روعه في مصابه العظيم بالإمام الحسين عليه السلام [1].

---

١ ـ راجع رياحين الشريعة، المجلد (٣)، ص ٣١٥.

جنت تقدم لي التهاني أم التعازي؟!

١٩ـ بعثت الأم فتاها إلى ساحة القتال في صدر الإسلام.. إنه ولدها الوحيد أرسلته يقاتل ووقفت على عتبة باب دارها.. مر بها قائد الجيش الإسلامي فاستوقفته وقدمت له صرة صغيرة وقالت له أنها وضعت في الصرة كل ما تمتلكه وتمكنت من تقديمه إعانة لجيش المسلمين..

تركها قائد الجيش ولقي في طريقه أو في ساحة الحرب قبل بدء القتال فتاها دون أن يعلم أنها أمه فحكىٰ له ما كان من أمره مع هذه السيدة المسلمة، وأنها بعثت كل مدخورها بل كل ما ملكت لتدعم جيش المسلمين به.

سأله الفتى أين لقيها، فأطلعه القائد على خصائص المكان، ولما سمع الفتى جوابه أخبره بأن هذه السيدة أمه وقد بعثته إلى ساحة القتال وهو ابنها الفريد.

اصغَيْنَ أيتها الأمهات وأمعِنَّ التفكير.. إنها بعثت ابنها الوحيد ليقاتل في سبيل الله...

ظل القائد يرقب الفتى فشاهده يبلي في القتال خير بلاء، وقبل اختتام

المعركة لاحظ أنه قد تلقىٰ ضربة قاسية أوقعته من فرسه على الأرض والدماء تسيل من بدنه فهرع إليه.

قال الفتىٰ: إن عدت إلى المدينة بلّغ تحياتي لأمي وأخبرها أنني قد حاميت عن الإسلام وعن شرف نبي الإسلام قدر استطاعتي.

إنتهت المعركة وعاد قائد الجيش إلى المدينة فجاء دار المرأة ذاتـها فقرع الباب ففتحته السيدة أم الفتى وحيّته، وقبل أن يتفوه قائد الجيش بكلام سبقته الى التحدث فسألته هل جاء يقدم لها التهاني أم التعازي؟

قال القائد: وكيف ذلك؟

أجابته أن شهادة فتاها لدليل على أن الله وجد فيها الجدارة لترعىٰ في حجرها من يفتدي الإسلام والقرآن والرسول ويخلد ذكر الله في الأرض فيكون قد جاء لتهنئتها، وإن كانت غير جديرة بذلك فعليه أن يعزيها.

قال القائد فإن كان كذا فإنه يهنئها بشهادة فتاها.

نجل الحسين (ع) لا يبالي للموت ما دام على الحق

٢٠ ـ يذكر التاريخ أن جميع أهل بيت أبي عبد الله الحسين عليهم السلام كانوا يرافقونه في مسيرته نحو كربلاء. وهذا ما يتعذر علينا تصوره حقاً، فالمرء يشعر بقلق دائم إزاء مسؤوليته الطبيعية تجاه صغار الأطفال عندما يصطحب أحدهم في سفرة ما، فكيف كان أمر رضيع الحسين عليه السلام؟

يروى أن أبا عبد الله عليه السلام خفق خفقة وهو يواصل الحركة راكباً على ظهر جواده وما عتم أن انتبه ورفع رأسه وقال: لا إله إلّا الله.

تساءل الركب بعضهم من بعض: ماذا حدث؟ وهل طرأ أمر جديد؟

إن الأمر يخص فلذة كبده، ولده الذي كبر حبه إليه فصرح بذلك مراراً وكان ما يقربه إلى أبيه ـإضافة إلى سجاياه التي تسترعي حب الأب لولده ـ هو شبهه التام برسول الله صلى الله عليه وآله. فما أعظم مصاب الإنسان بمثل هذا الولد إن تعرض للأخطار وتناوشته الأهوال، لاسيما وهو يراه يقبل عليه فيسأله:

ـ مم استرجعت؟

أجابه الحسين عليه السلام أنه خفق خفقة فعنَّ له من ينادي قائلاً:

«القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم. فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا»[1].

إنه أيقن أن الموت مستقبلهم والقتل مصيرهم الحتمي، فجاءه الجواب كما جاء إبراهيم عن إسماعيل عليه السلام[2].

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (٤٤)، ص ٣٧٩.

٢ ـ لما أخبر النبي إبراهيم ولده إسماعيل (ع):

(فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى..):

يا بني إني قد أيقنت أن ما أراه ليس حلماً مألوفاً بل وحياً يوحىٰ إليّ من ربي أن أذبحك قربة إليه.. رغم أن إبراهيم (ع) لم يفطن لحكمة هذه الرؤيا إلّا أنه أيقن أنها تحمل بين ثناياها أمراً إلهياً صريحاً.. فماذا سيرد عليه ولده؟ أيقول كما يقول أحدنا: أبتاه أبشر فإن الحلم بموت أحد إنما يعني طول عمره فسأتمتع إن شاء الله بعمر طويل؟!

كلا، لم يرد إسماعيل بمثل هذا الجواب، بل قال:

(.. يا أبت! إفعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين) (سورة الصافات، الآية ١٠٢).

اكتفىٰ إسماعيل بكون الأمر قد نزل من الله تعالىٰ وبوحي منه عز وجل فدونه السؤال، ولما همّ إبراهيم بذبح اسماعيل، جاءه الوحي:

(فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا..) (سورة الصافات، الآية ١٠٤).

اكتفى إسماعيل بكون الأمر قد نزل من الله تعالىٰ وبوحي منه عز وجل فدونه السؤال، ولما همّ إبراهيم بذبح إسماعيل، جاءه الوحي:

(فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا..) (سورة الصافات، الآية ١٠٤)

أوحى الله الى إبراهيم أنه لم يهدف ذبح نجل نبيه، فما من طائل لذلك بل أراد تبيين حقيقة استسلامهما هو وولده لأمر الله ومدى إطاعتهما لأوامره. وقد لاحت بشائر

←

قال علي الأكبر عليه السلام: يا أبه، أفلسنا على الحق؟

فقال الحسين عليه السلام: بلىٰ يا بُني، والذي إليه مرجع العباد.

إذاً، ما دام الأمر كذا فليمضوا إلى مصيرهم الذي أراده الله لهم، لا ضير إن كان موتاً أم حياة فالمهم أنهم يمضون إلى الحق لا الباطل، هذا ما بينه علي الأكبر عليه السلام وهو يقول:

«يا أبه، إذاً، ما نبالي إن نموت».

انتعش الإمام وسُرّ واندهش، وما كان منه إلّا أن يدعو الله أن يكافئ ولده بما يليق به ويجازيه عنه خير الجزاء: (جزاك الله خير ما جزىٰ ولداً عن والد).

← التسليم والطاعة من سلوكه ـ لما ارتضى أن يضحي بولده ـ وسلوك ولده وقد ارتضى التفاني بنفسه.

العباس (ع) وأجر استشهاد الإخوة

٢١ ـ إنها ليلة عاشوراء، والعباس جالس إلى أخيه الحسين عليه السلام وفي هذه الأثناء قدم أحد قادة جيش العدو وراح ينادي العباس بن علي وإخوانه ليتقدموا إليه.. سمع العباس عليه السلام نداءه فتجاهله وكأنه لم يطرق نداؤه سمعه.. إنه يرعىٰ منتهى الأدب في مجلس أخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي أمره بالرد على مناديه وإن كان فاسقاً.. تمثل العباس لأمره فأتى الرجل وهو شمر بن ذي الجوشن. وهو ممن بَعُد من أقارب أمه إذ ينتمي كلاهما إلى قبيلة واحدة.. إنه قدم من الكوفة يحمل أماناً للعباس وإخوانه ـ من أمه ـ. قد خيّل إليه أنه يسدد لهم خدمة ما بعدها خدمة..

ما كان من العباس وهو يسمع كلامه ويفهم مغزى حديثه ويدرك غاية قدومه إلّا أن زمجر زمجرة الرجال وهو يدعو بلعنة الله عليه وعلى من سلمه هذا الأمان، فكيف عرفه؟ وما كانت فكرته عنه؟ هل خيّل إليه أنه إنسان يترك إمامه وأخاه الحسين بن علي عليه السلام ويتبعه هو حفظاً لنفسه؟ إن الحِجر الذي ترعرعوا فيه والتدي الذي أرضعهم لم ينشئهم مثل هذه النشأة. وكان لأم البنين (أم العباس) أولاد أربعة أنجبتهم من الإمام

علي عليه السلام.

يحدثنا المؤرخون أن الإمام علياً عليه السلام أوصىٰ أخاه عقيل بن أبي طالب أن يختار له زوجة «ولدتها الفحول لتلد لي ولداً شجاعاً».. إنه أرادها أن تكون قد ورثت الشجاعة من عرقها لترث البسالة لأبنائها.. صحيح أن الإمام لم يذكر هدفه من طلبته هذه ولكنهم يستوحون من معرفتهم بالإمام علي عليه السلام وإيمانهم بتبصره، إنه كان يبصر الخاتمة ويعد لها عدته.. إختار له عقيل أم البنين وأخبره أنها كما أرادها فأنجبت له أربعة أولاد مغاوير كان أبو الفضل العباس أكبرهم سناً. وسار أربعتهم في ركب أبي عبد الله الحسين عليه السلام وآزروه وحاربوا وقاتلوا إلى جانبه حتى استشهدوا جميعاً.

لما حل دور بني هاشم، طلب أبو الفضل العباس من إخوانه وهو يكبرهم، كما أشرنا، أن يسبقوه إلى القتال لأنه يرغب في نيل أجر وجزاء استشهاد الإخوة فأطاعوا أمرهٰ واستشهد ثلاثتهم ثم نهض العباس عليه السلام إلى ساحة الوغىٰ ولحق بإخوانه شهيداً. هكذا شهدت هذه السيدة العظيمة (أم البنين) ـ وكانت ما تزال حية ترزق آنذاك ولكنها لم تحضر واقعة كربلاء ـ شهادة ولدها البواسل الأربعة[١].

---

١ ـ نقلاً عن كتاب الملحمة الحسينية، المجلد (٢)، ص ٨٨.

رضا الأم وشرط الشهادة

٢٢ـ تنطوي حادثة كربلاء ومجرياتها على نماذج إنسانية حية على كافة الأصعدة: الإسلامية، الأخلاقية، الاجتماعية، التوجيهية، التوحيدية، العرفانية والمبدأية. تمثلت هذه النماذج في شخصيات مختلفة تـعهدت بدور القيام بمثل هذه المهام وتضمنت الطفل الرضيع والكهل ذا الثمانين عاماً والعجوزة زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، وثلاثة من أنصار الإمام إنطلقوا الى كربلاء مصطحبين عوائلهم التي التحقت بأخبية عائلة أبي عبد الله عليه السلام ومنهم: مسلم بن عوسجة، عبد الله بن عمير الكلبي ورجل آخر يدعىٰ «جنادة بن حرب الأنصاري». وقد قامت زوجته بتحريض ولدها عمرو بعد استشهاد أبيه فسلحته لينطلق إلى المعركة بعد إذن الإمام.

وعن عبد الله بن عمير، يذكر أنه كان خارج الكوفة عندما ورده نـبأ عما يحدث في الكوفة وأن العسكر قد تهيأ لقتال الحسين عليه السلام وكان من المجاهدين الذين ذادوا عن الإسلام طويلاً فأقسم بالله أن لا يترك الجهاد في نصرة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وقد شهر سيفه سنين وهو يقارع الكفار دفاعاً عن الإسلام، فما باله لا يجاهد في هذه الكرّة وقد أدىٰ حق جهاده في تلك الأطوار.

عاد عبد الله إلى الدار وأبلغ زوجته بما اهتدىٰ إليه فباركت فيه واستحسنت فكرته إلّا أنها اشترطت عليه شرطاً.. سألها عبد الله عن شرطها فكان اصطحابه لها، ولما كان الأمر كذا اصطحب عبد الله أمه أيضاً، فيا لهن من نساء اعتلى بهن شأن المرأة إلى الذروة وضربن مثلاً للنخوة.

ويا له من رجل مقدام مغوار جالد غلامين لعمر بن سعد وعبد الله بن زياد كانا قد تطوعا للقتال وهما من الأشداء الأغلاظ، ففتك بهما.. عندئذ نظر إليه أبو عبد الله الحسين عليه السلام وإلى جسمه وأكتافه وسواعده وراح يقول بأنه رجل حرب، فعاد إلى ساحة القتال ولبث فيها رجل حرب.

تقدم إليه بادئاً مولىً لعمر بن سعد يسمىٰ «سياراً» فأرداه عبد الله بن عمير صريعاً، وكان قد هوجم من الخلف وصاح به أصحاب أبي عبد الله أن يتنبه إلى الخلف، ولكنه ما أن فعل حتى داهمه هذا بسيفه فاقتطع أصابع يده فقتله عبد الله بيده الأخرى فعاد إلى الحسين عليه السلام يرتجز الشعر.

سأل عبد الله أمه هل أحسن فعلاً. أجابته الأم نفياً وأخبرته أنها لن ترضىٰ عنه حتى يقتل في سبيل الله.

كانت زوجة عبد الله الشابة تحضرهما وتسمع كلامهما فتشبثت به، وما كان من أمه إلّا أن تحذره مغبة مطاوعة النساء، فالموقف ليس بموقف يصغىٰ فيه إلى حديث النسوة، فلا مناص له من الشهادة إن كان يبغي نيل

رضا أمه، فانصرف عنهما ومضىٰ إلى ساحة المعركة وقاتل العدو حـتى استشهد فذبحوه وألقوا رأسه نحو أخبية الحريم (وكانوا قد ضربوا رؤوس عدد من أصحاب الحسين عليه السلام ورموا رؤوسهم نحو الأخبية ومنها رأس عبد الله).

أخذت الأم رأس ولدها وضمته إلى صدرها وراحت تقبله وتخبره أنه نال رضاها بأداء واجبه أداء حسناً، ولكنها تذكرت أنهم قوم لن يستعيدوا ما وهبوا في سبيل الله فألقت رأسه إلى جند الأعداء ثم عمدت إلى عمود من قوائم الخيام وراحت تهاجم العدو به وهي تقول: «أنا عجوز سيدي ضعيفة...».. قواها قد خارت لكهولتها ولكن ضميرها وحبها للدفاع عن آل بيت فاطمة الزهراء عليها السلام لا يزال متقداً حياً متعاظماً ما دام الدم يسيل في عروقها والقلب ينبض بين جنبيها[1].

---

١ ـ نقلاً عن الملحمة الحسينية، المجلد الأول، ص ٢٦١ ـ ٢٦٩.

وأين أنا من الشهادة؟

٢٣ ـ إن الذين حضرهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام في لحظات احتضارهم هم قلة من المجاهدين. وممن جزم القول بهم كانا موليين يسمىٰ أحدهما «جون» وهو أسود البشرة. يروىٰ أنه كان مولى لأبي ذر الغفاري ولم يستغن قط عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعد عتقه، فظل يخدمهم ويحيا معهم باعتباره غلاماً لهم.

تقدم «جون» الأسود الشجاع يوم عاشوراء إلى الحسين عليه السلام يستأذنه بالقتال فامتنع الحسين عليه السلام عن تلبية طلبه لأنه قد جاء دوره ليواصل حياته سيداً لنفسه فكفاه ما أسدىٰ من خدمات لهم فقد نال رضاهم.

أعاد «جون» الكرّة وهو يرجو الإمام أن يأذن له، والحسين عليه السلام في كل مرة يمتنع حتى ألقىٰ جون بنفسه على قدمي الحسين يقبلهما وهو يتوسل إليه أن لا يحرمه من هذه النعمة ثم نطق بعبارة لم يستجز الحسين عليه السلام بعدها الامتناع عن الإذن له.

قال جون أنه قد فطن لسبب امتناعه عليه السلام عن الإذن له، فأين هو من مثل هذه السعادة وهو العبد الأسود ذو الدم المتسخ والجسم المتعفن. أكد له الإمام أن الأمر ليس كذا ثم أذن له ليتيقن من صدق الإمام فيما قال:

فانصرف إلى القتال وهو يرتجز وقاتل حتى قتل.. جاءه الإمام عند احتضاره فدعا له الله أن يبيض وجهه في الدار الآخرة ويطيب ريحه ويحشره مع الأبرار فالأبرار أعلى مرتبة من المتقين[1]. وأن يجعله على معرفة بآل محمد عليهم السلام يوم الدين.

والآخر كان رومياً (وقيل من الأتراك) فلما وقع من فرسه سارع إليه الحسين عليه السلام.. وهنالك كان مشهداً أثار منتهى الدهشة.. وضع أبو عبد الله رأس الفتى على ساقه، وهو مغميً عليه أو قد تغشت الدماء عينيه فمسح عليه السلام الدماء عن وجهه وأزاحها عن عينيه فأفاق، ونظر إلى الحسين عليه السلام ثم ابتسم.. رق له فؤاد الحسين عليه السلام فوضع خده على خده فتبسم إلى ربّه.. وما كان ذلك منه عليه السلام إلّا مع هذا الغلام ومع ابنه علي الأكبر، كما لم يدون التاريخ مثله.

وما كان أسعده فقد سلّم روحه إلى بارئها ورأسه في حضن إمام المفدىٰ الحسين عليه السلام.

---

١ ـ (إن كتاب الأبرار لفي علّيين) (سورة المطففين، الآية ١٨).

أمي قلدتني هذا السيف

٢٤ـ استشهد في كربلاء تسعة أو عشرة صبيان لم يبلغوا الحلم بعد. تذكر المؤلفات التاريخية عن أحدهم أنه «جاء شاب قتل أبوه في المعركة..» ولكنها لم تذكر ابن من مِنَ المقاتلين الشهداء كان.. جاء الصبي أبا عبد الله يطلب منه الإذن لينطلق نحو ساحة المعركة فرفض عليه السلام أن يأذن له وأمر البقية بمنعه من التوجه إلى ساحة القتال فقد قتل أبوه، وهذا يكفي، وأمه تحضر المعركة وقد تكره أن ينطلق ولدها للقتال.

هتف الصبي مخاطباً الحسين عليه السلام بأن أمه هي التي قلدته السيف وبعثته إلى ساحة القتال ليواصل درب أبيه فيفتدي أبا عبد الله عليه السلام بنفسه.. وأخذ يرجو الإمام عليه السلام ويتوسل إليه حتى أذن له. ولا نعلم إن كان الصبي ابن مسلم بن عوسجة أو جنادة بن حرب فكلاهما قد حضر كربلاء مصطحباً عائلته، وقد أفادتنا الأخبار فقط بأنه ليس ابن عبد الله ابن عمير.

انظروا إلى هذا الصبي.. إنه لم ينتسب إلى أبيه وجده، عند ولوجه ساحة القتال، كما اعتاد الناس آنذاك.. لم يذكر أنه فلان ابن فلان بل تفوه بعبارات أخرىٰ بينت تسامي منطقه على الجميع، فما أن توسط ساحة

المعركة حتى شرع يرتجز:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

هكذا نال كل من حضر هذه الواقعة من الطفل الرضيع وحتى الرجل الراشد، مرتبة خاصة وشأناً عجيباً[1].

---

١ ـ نقلاً عن الملحمة الحسينية، المجلد (٢)، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢.

الشهيد المجهول

٢٥ـ بينما كان الرسول الكريم ﷺ يسير نحو تبوك برفقة أصحابه وغيرهم من المقاتلين المسلمين، إجتاز الجيش الإسلامي صحاري شبه الجزيرة القاحلة والملتهبة وهم ينطلقون لقتال جيش يفوقهم عدداً ولا يتماثل معهم عدة.

كان جيش المسلمين في ثلاث آلاف مقاتل لا تدعمهم من العدة العسكرية إلّا الشيء القليل والعدو قد تأهب في جيش قوامه مائتا ألف مقاتل مسلح.

المسلمون يقاتلون بقيادة النبي ﷺ في سبيل الله وبغية نيل رضاه، وجيش العدو يقوده الامبراطور الرومي وكبار مشايخ العرب تدفعهم العصبية الشعواء والرغبة في حيازة الدينار والدرهم و...

كان الجيش الإسلامي بقائده والمقاد فيه، بفقيره وغنيه، منسقاً في حركته وهو يتقدم إلى الأمام.

كان فريق من هذا الركب المؤمن بالله المطالب بإحقاق الحق يردد ما انتقىٰ من الآيات القرآنية، وفريق آخر ينهل من علم النبي، جماعة ترتجز

الشعر وغيرهم يتحادث مع بعضهم البعض.. وكان بين هذا الركب «رهط من المنافقين من بني عمرو بن عوف فيهم وديعة بن ثابت، ورجل من أشجع حليف، يقال له: مخشي بن حمير كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم والله لكأنا بكم غداً تقادون في الحبال.

قال مخشي بن حمير لوددت أني أقاضىٰ على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن.

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر:

أدرك القوم فإنهم قد احترقوا[1] فسلهم عما قالوا فإن هم أنكروا وكتموا فقل: بل قد قلتم كذا وكذا.

فأدركهم فقال لهم فجاؤوا يعتذرون فأنزل الله: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾[2].

فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فتسمىٰ عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله فقتل باليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله ولا يرىٰ له أثر ولا عين[3].

---

١ ـ أي استحقوا العذاب الإلهي العسير.

٢ ـ سورة التوبة، الآية ٦٦.

٣ ـ تفسير الميزان، ذيل الآية.

الحر بن يزيد الرياحي (ره)
يستأذن الحسين (ع) في القتال طلباً للشهادة

٢٦ـ إنها التوبة الحقيقية.. توبة نالت القبول، توبة في منتهى الجـدية والصرامة شهدتها كربلاء.. إنها توبة «الحر بن يزيد الرياحي»، ذلك الرجل الضرغام المقدام الذي أسراه عـبيد الله بـن زيـاد فـي ألف فـارس إلى الحسين عليه السلام، عندما بلغ خبر نزوله عليه السلام الرهيمة فأجحف في حق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأوا منه الظلم والجور.

إنه الضمير الإنساني يثور ويتقد عند تعاظم الجرائم وتفاقم الجـرائـر وان كان هذا الضمير الانساني شبه حي، فـلنتبع سـلوك ذوي النـفوس الكريمة واسلوبهم في مواجهة انحطاط سلوك ذوي النفوس المتدنية.

يروي أحدهم أنه شاهد الحر بن يزيد في عسكر عمر بن سعد وهو يرتعد، تقدم إليه وسأله أنه قد عهده مقداماً شجاعاً وأنه لم يكن يصرف الرأي عنه لو سألوه من هو أشجع أهل الكوفة فمم يخاف ولِمَ يرتعد.

أجاب الحر مخاطباً بأنه قد أساء الفهم لأنه لا يهاب الحرب.

يقول الراوي أنه عاد يسأله: إذاً مم يخاف؟

أخبره الحر أنه قد صار على مفترق طريقي الجنة والنار فإنه يـرىٰ نفسه مخيراً بينهما ولا يدري ما يفعل، أيسلك هذا الطريق أم ذاك؟

وأخيراً اتخذ الرياحي قراره النـهائي بأن يسـلك طـريقه الى الجـنة فتنحى بفرسه عن القوم وهم فى غفلة عما أضمر وما نوىٰ حتى بلغ موقعاً يتعذر عليهم ردعه عن التقدم فضرب فرسه وجاز عسكر عمر بن سعد إلى عسكر الحسين عليه السلام وقد قلب درعه إعلاناً عن أنه ما أتاهم محارباً بل طالباً للأمان وراح يقول:

اللهم إليك أنيب فتب عليَّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك، يا ابن رسول الله! هل لي من توبة؟

أجابه الحسين عليه السلام: نعم، تاب الله عليك.

كان هذا الموقف الحسيني الكريم، لم يجبه بالقول: وأي توبة هذه؟ الآن وقد ألقيت بنا في التهلكة، عدت لتنيب إلى الله وتـتوب؟ كـلا، إن الحسين عليه السلام لم يفكر بشيء من هذا، إنه ما بادر لكل مبادرة منه إلّا طلباً لهداية الناس ورشادهم، إنه كان سيقبل التوبة من عسكر عمر بن سـعد جميعاً، لو أرادوا التوبة حتى بعد إبادة شبابه كافة، ولهذا أجـاب الإمـام علي بن الحسين عليه السلام، يزيد بن معاوية (لعنه الله) لما سأله بـعد واقـعة كربلاء هل له من توبة، قائلاً: بلىٰ. وأخبره أن توبته ستحظى بالقبول لو أناب إلى الله إنابة حقيقية، ولكنه لم يتب.

قال الحر بن يزيد الرياحي، يا ابن رسول الله! إئذن لي فاقاتل عنك.

رد عليه الحسين عليه السلام أنه ضيفهم فهلا ينزل من فرسه للحظات فيمكث هنالك.

لم يستجز الحر المكوث ورجح أن يأذن له الحسين عليه السلام بالانصراف.. لقد تمكن منه الخجل وغلبه الحياء، فَلِمَ؟ لأنه كان يردد في نفسه بأنه ذلك الآثم الذي ارعب قلوب أولياء الله وأولاد نبيه.

لِمَ يا ترىٰ امتنع الحر عن مجالسة الحسين بن علي عليه السلام، إنه فكر في احتمال أن يبصره أحد أطفال الحسين عند جلوسه إلى الإمام عليه السلام ويتطلع إليه بنظرة تدق كيانه بمطرقة الخجل وتغرقه في لجج الحياء.

«نسيم الشهادة»

هذه صحراء بدر..

٢٧ ـ الكون بانتظار ما سيحدث للحظات أخرى خلال أولى معارك المسلمين مع الكفار..

لقد اصطف المقاتلون بأمر من قائدهم رسول الله ﷺ في صفوف منتظمة فكان يرسم لهم الخطوط بخشبة يمسك بها.

كان «سواد بن غزية» أحد أفراد عسكرالمسلمين قد تقدم فخرج عن صف المقاتلين. أصابته عصا الرسول ﷺ وهو يأمره أن يقف في صفه.

خاطب المجاهد الإسلامى سواد قائده رسول الله ﷺ قائلاً بأن الله قد بعثه بالحق والعدالة لكنه قد آلمه بضربة العصا على بطنه.

ثم أردف يطالبه بالقصاص فليستعد لذلك.

كشف النبي ﷺ حالاً عن بطنه وهو يأمره أن يقتص منه.

أما سواد فقد عانق رسول الله وراح يقبله.

سأله الرسول ﷺ فلِم فعل ذلك.

قال بأنهم في ساحة المعركة يخوضون الجهاد في سبيل الله ونسمة الشهادة مقبلة عليهم.. إنه أراد أن يطبع قبلة على جسمه الطاهر في هذه اللحظات الأخيرة من العمر.

إن سرد حكاية جميع التواقين للشهادة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أمر يخرج عن نطاق بحث هذا الكتاب ولهذا نكتفي بذكر الموضوع التالي آملين أن نتطرق إلى ما تركنا، مضطرين، في مجال آخر:

يذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن رجلاً قال لعمر بن سعد في الطف بكربلاء بأن الويل له كيف قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

دعا عليه عمر بن سعد مؤكداً بأنه لو كان يرافقهم ويشاهد ما شاهدوه لكان يفعل مثلما فعلوا، فإن قوماً تكالبوا عليهم وقد شهروا سيوفهم وهم كالاسود الضراغم يدكون الفرسان يمنة ويسرة فيلقون أنفسهم في التهلكة، وإنهم كانوا يلقون إليهم الأمان فيرفضونه ويرغّبونهم بالمال فيأنفونه ويأبون إلّا أن ينهلوا من نبع الموت أو يغلبوه. ثم أردف يؤكد بأن الموت كان ملاقيه هو وجميع أعضاء عسكره إن كانوا يكفون أيديهم عنهم (عن ذرية رسول الله) وما كان يسعهم إلّا معاملتهم بمثل ما كان منهم.

يذكر الشيخ أبو عمرو الكشي بأن حبيب بن مظاهر كان من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام السبعين الذين واجهوا بيض الحديد بصدور تستقبل الرماح ووجوه تتهشم بالسيوف، وكان الأمان يلقىٰ إليهم فيرفضونه والمال يعرض عليهم فيلفظونه ويأنفون تقبله وهم يتساءلون وكيف يعتذر

أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إن قتل الحسين عليه السلام وفي أحداقهم عيون تبصر. وهكذا كان نهجهم حتىٰ قتلوا.

ويذكر صاحب المقاتل بأن الأصحاب كانوا يقبلون على الحسين عليه السلام الواحد تلو الآخر فيودعونه وهم يقولون:

السلام عليك يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والحسين يرد تحيته ويبلغه أنهم في الأثر ثم يتلو الآية:

﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

وهكذا كان أمرهم حتى قتلوا جميعاً:

أديرت كؤوس المنايا عليهم
فاغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي سكر

فأجسامهم في الأرض قتلىٰ بحبه
وأرواحهم في الحجب نحو العُلى تسري

كان أصحاب الحسين عليه السلام يتبارون في القتل والشهادة، وكأنهم هم من قيل فيهم:

قوم إذا نودوا لدفع ملمة
والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس

وكيف لا وقد سما أصحاب أبي عبد الله فوق هذا فكانوا كما قال عنهم الحسين عليه السلام:

«إني لا أعلم أصحاباً أوْ ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي...»[1].

جـادوا بأنـفسهم في حب سـيدهم
والجود بـالنفس أقـصى غـاية الجـود

١ ـ راجع نفس المهموم، ص ١٥٨.

«إنكم اتخذتم الماء وسيلة لإرعاب البط والشهادة لإرعابنا»

الشهيد صدوقي



الفصل الثالث

فضيلة الشهيد في الروايات والأخبار



النداء التاريخي للإمام الخميني (قده) حول منزلة الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الشهادة في سبيل الله ليست مما يسعنا تقييمه وفق المقاييس البشرية والدوافع العادية، كما لا تمكننا الرؤى الإنسانية التنبه إلى الشأن السامي الذي يحرزه الشهيد (المتفاني) على طريق الحق والأهداف السماوية، فاستدراك القيمة العظمىٰ لتلك الأمور يتطلب اللجوء إلى المعايير الإلهية، وفهم الشأن المرموق لهذا يستلزم نظرة ربوبية. إن العجز عن بلوغ تلك (القيمة) وهذا (الشأن) لا يتحدد بنا أبناء الأرض بل يتعذر على سكنة السماء أيضاً إدراك كنهها لأنها من خصائص الإنسان المتكامل، وتلك منزلة الأسرار التي بعدت الشقة بينها وبين الملكوتيين أيضاً.. إنه الحد الذي يتوقف لديه القلم ونقضي نحن، المتبقون المتخلفون عن الركب، الأيام نعدها فى انتظار لحظة تحقيق تلك وهذا، ويلفّنا حتى في ساعة الوفاة الحسرة لنيل منزلة الشهادة والشهيد وذوي الشهداء الذين يشعرون بالاعتزاز وهم يضحون عن حب وولع بثمرة حياتهم ـ هؤلاء

الشهداء ـ ويخامرنا الإحساس بالخجل وبالحطة إزاء المواقف الباسلة الفريدة التي نلحظها من الشهداء وزملائهم الأسرى والمفقودين والمتضررين وما يبدونه من شوق واندفاع لا يوصف للعودة إلى ساحة الشهادة.. إن ترنم النموذجيين من النساء والرجال والأطفال بأنشودة الشهادة في أجواء القصف وعلى أسرّة المستشفيات وطموحهم للعودة إلى جبهات تشييد صرح الإنسانية بأيد وسيقان مبتورة، أمر يخرج عن نطاق تصورنا وما يذهب إليه الفلاسفة والعرفاء في كتاباتهم ويعرضه نتاج الفنانين والرسامين.. فما توصل إليه هؤلاء بعد اتخاذ الخطوات العلمية والمبرهنة والعرفانية ناله أولئك بخطوة موضوعية، وما اهتدىٰ إليه هؤلاء بين ثنايا الكتب والصحف حظي به أولئك في ساحة الدماء والشهادة في سبيل الله.

إلهي، وفقنا للعمل في سياق نهجهم ولتحقيق هدفهم السامي وامنح شهداءنا الأعزاء من مظاهر (رحمتك) الخاصة في ضيافتك المعنوية، وآجر أسرهم الكرماء بالصبر والثواب وأكرم المتضررين الأعزاء بالشفاء والأسرىٰ والمفقودين المبجلين بالعودة إلى أحضان الشعب العظيم في أسرع ما يمكن وآزر آباءهم وأمهاتهم وزوجاتهم بالحلم والثبات وارزقهم والشعب بأسره من بركة بقية الله (أرواحنا فداه) وآجرهم برحمتك.

روح الله الموسوي الخميني

١٩٨٣/٨/٢٨م

النداء التاريخي للإمام الخميني (قده) الموجه إلى المتفانين بمناسبة الذكرى الخامسة لأسبوع الحرب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الآن وقد شقت الجمهورية الإسلامية في إيران باعتزاز واقتدار طريقها بلطف وقداسة رب الأرباب وبفضل وأدعية بقية الله (أرواحنا لمقدمه الفداء) وتفاني وتضحية الشعب الإيراني العظيم وقوة الإيمان وإيثار مقاتلينا الأعزاء في سبيل تحقيق الأهداف المقدسة للإسلام العظيم والقرآن المجيد، وراحت تتقدم فيها بثبات، ينبغي علينا أن نذعن بعجزنا ونثمن مجاهدينا الأعزاء الذين ذادوا عن وطنهم الإسلامي باندفاعهم نحو نيل الشهادة وتسطير البطولة وأضاؤوا بدمائهم الزكية المشاعل على درب تحرير كافة الشعوب المستضعفة. ونتقدم بالشكر والامتنان أيضاً إلى الأمهات، الآباء، الأخوات والزوجات والإخوة الكرام ـ الذين بادروا من وراء الجبهات وبجد تام لدعم ومؤازرة المجاهدين الأعزاء على صعيد مواصلة الدفاع المقدس عن الإسلام والوطن الإسلامي، فلم يألوا جهداً في هذا المضمار ـ وإلى الشعب العظيم المؤمن بأسره لمساهمته

المتواصلة في جميع المواقف. إن قلمي وتعبيري قاصران عن أداء حـق الثناء والشكر على كل هذه التضحيات.. إن الله سيؤجرهم أجمعين خير الجزاء.. إن الله سيبيض وجـوههم جـزاء عـلى تـبييض وجـه الإسـلام وإعلائهم كلمته.

إلهي! إن هؤلاء عبادك الصالحين يعتزون بما كان من تفانيهم بأنفسهم وبأعزتهم على طريق الجهاد في سبيلك، فأسكن برحمتك شهداءنا إلى جوارك وشاف معوقينا وأعد مفقودينا وأسرانـا إلى أحـضان عـوائـلهم وتفضل علينا بالصبر والتوفيق من لدنك، إنك مجيب قريب.

روح الله الموسوي الخميني

١/١٠/١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

لو لم يجد الشهداء في سبيل الله ما يطلعهم على المنزلة السامية التي يتمتع بها الشهداء سوىٰ هذه الآية لكان ذلك حسبهم، ومنهم الأعزاء الذين استغنوا بغية الحفاظ على الإسلام والوطن الإسلامي عن أكبر ثرواتهم وهم الشهداء الذين وضعوا كل ما لديهم على طبق الإخلاص وقدموه لله تبارك وتعالى حفاظاً على سمعة الإسلام ودفاعاً عن الجمهورية الاسلامية.

إن هذه الآية لا تتحدث عن الحياة ـ ما بعد الحياة الدنيوية ـ فكل الكائنات في ذلك العالم تتمتع بنفس إنسانية بفارق المراتب وهي تتباين عن الحياة الحيوانية وما دونها وحتى عن الحياة الإنسانية وما يعلوها، بل يراد بها تبيين الشرف الأجل الذي يناله الشهداء في سبيل الحق وهو الحياة عند الرب والحظوة بضيافة الله.

لن يَسَعَ أقلاماً متهرئة مثل قلمي أن تصف وتحلل هذه الحياة وهذه الضيافة، فإن هذه الحياة وهذا النعيم هما غير الحياة في جنات عدن

ونعيمها، إنها الحظوة بلقاء الله وضيافته. أليس هذا ما تقرر لذوي النفس المطمئنة ﴿ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[1]، ومن أبرز نماذجه هو سيد الشهداء سلام الله عليه. فهل من بشرىٰ للشهداء المنتهجين بنهج الحسين عليه السلام وهو نهج سبيل الله أعظم من الفوز بجنة ينالها هذا الشهيد العظيم في سبيل الله وبالإذن لحضور ضيافة يحضرها الإمام عليه السلام وهي ضيافة تختلف عن ضيافات الجنة وهي ما لا تبلغها تصوراتي وتصوراتك وتصوراتكم جميعاً.. لقد حصّن، وبحمد الله، شهداؤنا السائرون على نهج أعظم شهداء الإسلام الحسين عليه السلام، مستقبل الجمهورية الإسلامية، فتمثلت هديتهم بالنصر على أعداء الإسلام وأعداء إيران والشعب الإيراني العظيم وسائر الشعوب المسلمة بل مستضعفي العالم.

فلابد أن يكون للاستكبار العالمي مبرر ودافع يحفزه للانتفاض بوجه شعب صغير ذي الأربعين مليون نسمة مكنته معنوياته ومُثله الإنسانية من اعتلاء أعلىٰ وأسمىٰ قمم السعادة. إن هذه المؤامرات والضجيج والاستعراضات التي تلجأ إليها القوى الاستكبارية في العالم وأتباعهم وأياديهم تعتبر من أعظم القيم وأسمى الدرجات بالنسبة لأي شعب ما. وهذا ما لم يَحظَ به أي شعب حتى الآن. وكانت هذه القيمة والمثل اسطورة سطرها الشهداء الأعزاء والمعوقون ـ وهم الشهداء الأحياء ـ ومن ثم الشعب الإيراني العملاق خلف الجبهات.

مرحباً بهذه القدرة الإيمانية وهذه السواعد القوية وألف مرحباً بشعب

---

١ ـ الفجر / ٢٩ ـ ٣٠.

انتشل نفسه وشبابه من حضيض ومركز الفساد والتعاسة التي أفاء بها عليه النظام الشاهنشاهي فاعتلى قمة العظمة والمعنويات. تغمد الله برحمته الشهداء الأعاظم والسلام على الشهداء الأحياء، دعائم الإسلام وتحياتنا لمجاهدينا المغاوير سواء المنتظمين منهم في سلك الجيش أو حراس الثورة أو قوات التعبئة وحتى في سلك الدرك والشرطة أو اللجان والعشائر وكافة القوى الشعبية التي اهتزت لانعكاسات قدرتها أركان قلاع القوى الاستكبارية وهي ذاتها القدرة السماوية النورانية المتأطرة بإطار (لا شرقية ولا غربية) فلينعم علينا الله باستمرارية هذه الأنوار.

السلام على الأمهات والآباء والزوجات والأبناء ومتعلقي الشهداء والمعوقين والشباب المجاهدين في الجبهات.

السلام على المعوقين والمفقودين والأسرى الأعزاء، مدعاة اعتزاز الإسلام والبلد الإسلامي.

تغمد الله برحمته هذه الأحضان الزكية منشأ الشباب الضراغم، وصلوات الله وسلامه على الأنبياء العظام لاسيما سيدهم وخاتمهم ـ من أضاؤوا العالم بأنوار الوحي الإلهي ـ وعلى أوصيائه الأجلاء الذين نبهوا بنور الهدى الغفلة وأحيوا وأيقظوا (أشباه) الموتىٰ.

والسلام على جميع الأنبياء والأولياء عليهم السلام وعلى خاتم الأوصياء بقية الله المنتظر (أرواحنا لمقدمه الفداء) ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

روح الله الموسوي الخميني

١٩٨٤/٢/٩م

من هو الشهيد وما هي الشهادة؟

يعرف النخبة والعلماء المسلمون الشهيد على أنه:

١ ـ «الشهيد المقتول في المعركة عند الجهاد مع الإمام عليه السلام أو نائبه الخاص ويلحق به كل من قتل في حفظ بيضة الإسلام في حال الغيبة».

٢ ـ الشهادة عبارة عن إطفاء نور الحياة الساطع بوعي وحرية وبمعرفة تامة بكنه الحياة بشكل مرغوب تماماً من وجهة النظر المألوفة للعقل والبصيرة في عرض الكون، وذلك في سبيل تحقيق غاية وهدف أسمىٰ من الحياة العادية.

٣ ـ الشهادة عبارة عن إنهاء الحياة الطبيعية دفاعاً عن المثل والحياة الإنسانية لأبناء المجتمع.

٤ ـ الشهادة عبارة عن تحطيم طوق الهيكلية المادية والسير نحو منزلة الشهود الإلهي في سبيل تحقيق المشيئة الربانية في الاحتفاء بحياة بني الإنسان.

٥ ـ الشهادة عبارة عن تحديد المعايير والموازين والأُسىٰ للحياة الدنيوية.

وتبيين تعذر تمتع الأحياء بحياة حقيقية بعيداً عن هذه المعايير والموازين والأُسىٰ.

٦ـ الشهادة تعني الاحتراق والتأجج بلهيب الحب الإلهي لإضاءة الدرب بغية إقامة حكومة العدل الإسلامية في العالم تمهيداً لتحقيق سعادة وهناء البشرية.

٧ـ الشهادة هي حقن الدماء هيكل المجتمع[١].

٨ـ الشهادة هي الموت قتلاً في سبيل العقيدة والمبدأ.

الشهادة من وجهة نظر الإمام الخميني (ره)

ـ «ينبغي علينا فيما لو كنا نؤمن بما وراء هذا العالم، أن نتقدم بالشكر لله أننا نقتل في سبيله فنلتحق بركب الشهداء.. فمولانا يقول:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه».. إنه رأيه وهو ما لا يمكننا أن ندعي بمثله إلّا أننا شيعته.. إن رهبتنا من الموت تعني أننا لا نؤمن بما وراء الطبيعة»[٢].

ـ «تفعم شبابنا الرغبة في الشهادة... إنهم يقسمون عليّ أحياناً عند لقائي ـحتى بعض النساءـ أن أدعو لهم بالشهادة وأن أدعو لهم أن يفوزوا بثواب الشهيد، وأن يكون النصر حليفهم»[٣].

١ـ نقلاً عن كتاب «الشهيد» للشهيد الاستاذ المطهري، ص ١٠٤.

٢ـ ٢ ذي الحجة، ١٣٨٣ هـ.ق.

٣ـ ١٩٨٠/٣/١٩.

ـ «لن يكون الخذلان نصيب الجيش الإسلامي، فالشهادة لا تعتبر خذلاناً كما أن النصر ليس بخذلان.. وأنتم ستفوزون بالنصر أو الشهادة، وفي كلتا الحالتين يكون النصر حليفنا»[1].

ـ «لقد استأنس شعبنا الآن بالشهادة والتفاني.. إنه لا يهاب أي عدو أو أية قدرة أو مؤامرة.. إنه شعب يحسب الشهادة سعادة ونصراً.. والشعب الذي يسخّر نفسه وكل ما لديه لخدمة الإسلام يفوز بالنصر.

إن الإسلام ليفخر في الوقت الحالي بهؤلاء الشهداء وبذوي الشهداء وباعتزاز يدعو الناس جميعاً للثبات.. إننا عقدنا العزم أن نهتدي بهداه يوماً ونسلمه أرواحنا التي وهبها إيانا»[2].

ـ «إن نهج الشهادة الدموي هو نهج آل محمد وعلي، إنه فخر أورثه آل النبوة والولاية لذرية أولئك العظام (الأطياب) ولشيعتهم.. إنهم أتباع نهج سيد الشهداء الذي ضحىٰ في سبيل الإسلام والقرآن الكريم بالطفل ذي الستة أشهر وحتى الشيخ ذي الثمانين عاماً، فسقى الإسلام العزيز وأحياه بدمه الزكي»[3].

ـ «إنني كلما ألتقي هؤلاء الأعزة الكرام (عوائل الشهداء) أو أطالع وصية سديدة لشهيد ما، أشهر بالحطة!.. إنهم يحوزون وثيقة إيمانهم

---

١ ـ ١٩٨٠/٧/١٢.

٢ ـ ١٩٨١/٧/٣٠م.

٣ ـ ١٩٨١/٩/١٢م.

والتزامهم بالإسلام»[1].

ـ «مع كل حالة استشهادية يزداد الشعب دنواً من هدفه السامي.. والشهادة والتأهب للشهادة من مستلزمات أية ثورة.. إننا في كل (صلاة) جمعة وجماعة وإبان أي اجتماع إسلامي أو ندوة نكون بانتظار التضحية، بانتظار الشهادة في سبيل نصرة الله»[2].

ـ «إن هذه الحالات الاستشهادية هي التي تحصن الانتصار وتفضح العدو»[3].

---

١ ـ ١٠/٢/١٩٨٢م.
٢ ـ ٣/٧/١٩٨٢م.
٣ ـ ١٨/١٠/١٩٨٢م.

فضيلة الشهيد في الحديث النبوي الشريف

١ ـ «أشرف الموت قتل الشهادة»[١].

٢ ـ «فوق كل برّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه برّ»[٢].

---

١ ـ جاء هذا الحديث بنفس العبارة والمحتوى في مدينة البلاغة، المجلد الأول، ص(٥٨) عن الإمام الباقر (ع).

٢ ـ ذكرت عدة أحاديث بهذا المحتوى نقلاً عن رسول الله (ص) في بحار الأنوار، المجلد (١٠٠)، ص ١٠، وهي:

ـ عن رسول الله (ص)، أنه قال: «فوق كل برٍّ برٌّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، وفوق كل عقوق عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه».

ـ قال رسول الله (ص): «إن فوق كل برٍّ برّاً حتى يقتل الرجل شهيداً في سبيل الله، وفوق كل عقوق عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه».

ـ وقال (ص): فوق كل ذي بر بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر...

عن الصادق (ع)، عن آبائه أن النبي (ص) قال: فوق كل بر بر حتى يقتل الرجل في

←

٣ ـ رأى رسول الله رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك خير ما تُسأل فأعطني أفضل ما تُعطي. فقال صلى الله عليه وآله: **إن استجيب لك فقد أهريق دمك في سبيل الله**[1].

يتضح من هذه الرواية أن في الشهادة من الكرامة والسعادة ما لا يبلغها أي من نعماء الله وعطاياه.

٤ ـ روى الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، عن الحسين بن علي زين العابدين عليه السلام، قال:

بينما أمير المؤمنين يخطب ويحضّهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال:

يا أمير المؤمنين! أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله.

فقال:

كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته العضباء ونحن قادمون من غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألتني عنه، فقال:

إن الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار، فإذا تجهّزوا لغزوهم باهى الله تعالى بهم الملائكة، فإذا ودَّعهم أهلوهم بكت عليهم

← سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه بر، وفوق كل عقوق عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه فإذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوق.

١ ـ مستدرك الوسائل، المرحوم النوري، المجلد (٢)، ص ٢٤٣.

الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكّل الله عز وجل بهم، بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل حسنة إلّا ضُعِّفت له. ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم مثل عمر الدنيا.. وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوِّقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حَفّتهم الملائكة بأجنحتها ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت.

فينادي منادٍ: الجنة تحت ظلال السيوف.

فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف، وإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة.

فإذا وصل إلى الأرض تقول له[١]: مرحباً بالروح الطيبة التي أخرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويقول الله عز وجل: أنا خليفته في أهله ومن أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني.

---

١ ـ أي الأرض.

ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بـالعرش. ويـعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين.. في كل غرفة سبعون باباً، على كل باب سبعون مصراعاً من ذهب، على كل باب ستور مسبلة.. في كـل غـرفة سـبعون خيمة، في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قـوائـمها الدر والزبـرجـد مرمولة[1] بقضبان من زمرد، على كل سرير أربعون فرشاً غِلظ كل فِراش أربعون ذراعاً، على كل فراش زوجة من الحور العين عُرباً أتراباً.

فقال الشاب: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن العُرُبة؟

قال: هي الغنجة الرضية المرضية الشهية، لهـا سـبعون ألف وصـيف وسبعون ألف وصيفة، صفر الحُلي، بيض الوجوه، عليهم تيجان اللـؤلؤ، على رقابهم المناديل، بأيديهم الأكوبة والأباريق. وإذا كان يوم القـيامة يخرج من قبره شاهراً سيفه تشخب أوداجه دماً، اللون لون الدم والرائحة رائحة المِسك، يخطو في عرصة القيامة.

فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر فـيقعدون عـليها. ويشـفع الرجل منهم لسبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته حتى أن الجارين يختصمان أيهما أقرب جواراً. فيقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخُلد، فينظرون

---

١ ـ المرمولة: المزينة.

إلى الله تعالى في كل يوم بكرة وعشية[1].

٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب ولده الحسين عليه السلام:

«إن لك عند الله درجة لا تنالها إلّا بالشهادة»[2].

٦ ـ خصال سبع وهبها الله للشهداء:

عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«للشهيد سبع خصال من الله:

الأولى: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب.

والثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة: يكسىٰ من كسوة الجنة.

والرابعة: تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم تأخذه معه.

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠٠)، ص ١٢ وتفسير مجمع البيان، المجلد (٢)، ص ٥٣٨.

٢ ـ نقلاً عن كتاب «سيد الشهداء» للشهيد آية الله عبد الحسين دستغيب، ص ٢١٢ (النسخة الفارسية).

والخامسة: أن يرى منزله في الجنة[1].

والسادسة: يقال لروحه اسرح في الجنة حيث شئت.

والسابعة: أن ينظر في وجه الله وانها لراحة لكل نبي وشهيد»[2].

٧ـ عن الصادق عليه السلام عن آبائه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«ثلاثة يشفعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فأشفعهم الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[3].

٨ـ جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل الغزاة في سبيل الله، أنه قال:

«إذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول: مرحباً بالروح الطيبة التي أخرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[4].

٩ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ـ يروى أن الإمام أبا عبد الله الحسين (ع) قد كشف لكل من أصحابه في ليلة عاشوراء عن منزله في الجنة.

٢ـ وسائل الشيعة، المجلد (١١)، الباب (١)، الحديث (٢٠).

٣ـ سفينة البحار، المجلد (١)، مادة شهد.

٤ـ سفينة البحار، المجلد (١)، مادة شهد، والخصال للشيخ الصدوق، ص ١٥٦، ح ١٩٦.

«أفضل الأعمال عند الله عز وجل:

١ـ إيمان لا شك فيه.

٢ـ غزو لا غلول فيه.

٣ـ حج مبرور.

وأول من يدخل الجنة: شهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، ورجل عفيف متعفف ذو عبادة».

١٠ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العُلىٰ من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه».

الشهيد يتمنى الرجعة وإعادة الكرّة في الشهادة:

١١ـ «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ـ وأن له ما على الأرض من شيء ـ غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيُقتل عشر مرات، لما يرىٰ من الكرامة»[١].

وفي أحاديث مماثلة لهذا الحديث، جاء:

١ـ صحيح مسلم، المجلد (٣)، ص ١٤٩٨.

أ ـ «ما من نفس تموت لها عند الله خير، يسرّها أن ترجع إلى الدنيا، وأن لها الدنيا وما فيها، إلّا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[1].

ب ـ «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا وأن لها الدنيا وما فيها إلّا الشهيد، فإنه يتمنىٰ أن يرجع فيُقتل في الدنيا، لما يرىٰ من فضل الشهادة»[2].

١٢ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله قال لجابر:

«إن الله لم يكلم أحداً إلّا من وراء حجاب وكلم أباك[3] مواجهاً فقال له: سلني أعطك! قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا حتى أجاهد مرة أخرىٰ فاقتل»[4].

ثواب من أصبح فأذّن وصلىٰ، ورجل نام وهو ساجد، ورجل قاتل حتى قتل:

١٣ ـ من وصية له صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

يا أبا ذر: إن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يصبح

---

١ ـ كنز العمال.

٢ ـ صحيح مسلم، المجلد (٣)، ص ١٤٩٨.

٣ ـ استشهد عبد الله (أبو جابر) في غزوة «أُحد».

٤ ـ المستدرك، المجلد (٣)، ص ٢٤٣.

في الأرض فيؤذّن ثم يصلي، فيقول ربك للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري، فينزل سبعون ألف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له.. ورجل قام من الليل فصلى وحده ونام وهو ساجد، فيقول تعالىٰ أنظروا إلى عبدي روحه عندي، وجسده في طاعتي ساجد؛ ورجل في زخف فرّ أصحابه، وثبت وهو يقاتل حتى يقتل.

ثواب الجرح عند القتال في سبيل الله

١٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من جرح في سبيل الله جاء يوم القيامة، ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران، عليه طابع الشهداء، ومن سأل الله الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر الشهيد، وإن مات على فراشه».

١٥ ـ عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، أنه قال:

«من قتل في سبيل الله، لم يعرف الله شيئاً عن سيئاته»[1].

توضيح: لم يعرف الله شيئاً من سيئاته اي يتغاضىٰ عنها ولا يؤاخذه على الإتيان بها.

١٦ ـ روى أبو حمزة الثمالي أنه سمع الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، قال:

---

١ ـ وسائل الشيعة، المجلد (١١)، كتاب الجهاد.

«وما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلّا الله عز وجل»[1].

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠٠)، ص (١٠).

حكم تغسيل وتكفين الشهيد

نتطرق في سياق استبانة حكم تغسيل وتكفين الشهيد إلى الروايتين التاليتين:

١ ـ عن ابان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام أنه قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذي يقتل في سبيل الله أيغسل ويكفن، ويحنّط، قال عليه السلام:

«يدفن كما هو في ثيابه إلّا أن يكون به رمق..».

٢ ـ وعن ابان أيضاً: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«الذي يقتل في سبيل الله يدفن في ثيابه ولا يغسل إلّا أن يدركه المسلمون وبه رمق...».

يُستوحى من هذين الحديثين الشريفين أن الشهيد هو من يقتل في سبيل الله سواء في مراحل جهاده مع الإمام عليه السلام أو مع نائبه الخاص أو خلال مساعيه للذود عن كيان الإسلام في زمان الغيبة.

وبما أن القتل في جميع الحالات يكون على الإطلاق في سبيل الله وإن كان في غير حرب إلّا أن العبارة «.. يدركه المسلمون وبه رمق..» الى

جانب تطابق الحكم والموضوع في رأي رجال الفقه يفيدان معنى القتل في الحرب. وبهذا يغدو التعريف أعلاه تعريفاً ثابتاً.

ويفيد هذان الحديثان أن الغسل والتكفين يسقط وجوبهما عن الشهيد إن قضىٰ نحبه قبل أن يدركه المسلمون، ويستوجبان له إذا بلغوه وبه رمق وإن كان شهيداً ومقتولاً في سبيل الله، فإطلاق العبارة يستوجب تغسيل وتكفين الشهيد إن قتل في ساحة المعركة وأدركه المسلمون قبل قبضه وإن فاضت روحه قبل إخراجه من ساحة القتال، إلّا أن المشهور عن عظام الفقهاء أنه يغسل ويكفن في حالة وفاته خارج ساحة المعركة وإلّا فلا غسل ولا تكفين عليه وإن أدركه المسلمون حياً وبه رمق، والظاهر أنهم قد استنبطوا هذا الحكم استناداً إلى هذين الحديثين.

إن الفهم العام لا يعتبر حجة للفتاوى الفقهية إلّا أنه يوثق به متى ما استند إلى حديث أو رواية، كان فيها ما يؤدي إلى مثل هذا الاستنباط. والدليل على عدم وجوب الغسل والتكفين في حال إدراك الشهيد وهو حي هو ما كان من استشهاد «عمار» فقد أدركه المسلمون حياً فطلب منهم الماء فسقوه حليباً ومع هذا لم يغسّله أمير المؤمنين عليه السلام كما يتبين لنا من الأخبار المستفيضة، ولهذا يعتبر المشهور في هذا السياق صحيحاً يستند إليه.

«سقوط الغسل والتكفين عن الشهيد فرض لا إذن»

لا يجوز تغسيل وتكفين الشهيد، وفي غسله وتكفينه مخالفة للشرع،

إذ يستدل من الحديثين الآنفين وأخبار اخرىٰ على وجـوب السـقوط، ومنها: يدفن كما هو في ثيابه.

لا يستوحىٰ من هذا الحديث وجوب دفن الشهيد على حاله أي عدم تغسيله وتكفينه فحسب بل يستدل منه على ضرورة دفنه في ثيابه. وتدل أخبار أخرىٰ على أنه يمكن نزع الحذاء، القبعة، الحزام وبعض الأرديـة الأخرىٰ عن الشهيد قبل دفنه، فيما لو لم يـصبها شـيء مـن دمـه فـإن تلطخت به لا يجوز تجريدها عنه، وهذا ما يدل على أن:

الرداء المدمىٰ للشهيد يحتسب وثيقة فخره واعتزازه ولهذا ينبغي أن تدفن هذه الوثيقة معه ليحشر حاملاً إياها.

مس جثة الشهيد لا يستوجب غسل مس الميت

إن الأخبار والروايات وإن كانت تؤيد ابتداء على الإطلاق وجـوب الغسل عند مس الميت مثل ما جاء في صحيحة عاصم بن حميد:

«سألته عن الميت إذا مسه الإنسان، فيه غسل؟

فقال: إذا مسست جسده حين يبرد فاغتسل».

ويتجلىٰ من الرواية أن موضوعها هو الميت عـلى الإطـلاق سـواء الشهيد وغير الشهيد، إلّا أن هذا الظهور البدوي غير متبع لأنه يعتمد ما جاء في مجموع الأخبار من دليل على تنجس الميت بوفاته وطهارته بعد غسله كما جاء مثلاً في خبر إبراهيم:

«قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل يقع ثوبه على جسد الميت. قال إن كان غُسِّل الميت فلا تغسِل ما أصاب ثوبك منه وإن كان لم يغسل فاغسل ما أصاب ثوبك منه (يعني إذا برد الميت)».

إلّا أنه يستنبط من الأخبار الدالة على سقوط الغسل عن الشهيد بأن جسده طاهر ولا يحكم فيه بمثل ما يحكم في سائر الأموات، وهذا ما يفند الظهور البدوي في صحيحة عاصم ويستبان منه إن السؤال كان موجهاً حول مس سائر الأموات وأن موضوع مثل هذه الأخبار إنما هو مس الميت غير الشهيد. كما في صحيحة صفار:

«إذا أصاب يدك جسد الميت قبل أن يغسّل فقد يجب عليك الغسل».

يتبين من هذه الصحيحة أن موضوعها هو وجوب الغسل بعد مس الميت وأن الحكم المستنبط منها يدل على انعدام المنافاة بين هذه الصحيحة وصحيحة عاصم بن حميد لأن صحيحة صفار لا تنفي وجوب الغسل لمس الميت ممن لا يغسَّل إلّا أننا باستدلالنا هذا لا نبتغي حمل المطلق على المقيد كي يصح مثل هذا المأخذ على الحكم بل يسعنا أن نستلهم من هذه الصحيحة أن موضوع الأخبار المروية حول مس الميت هو مس الميت ممن يجب تغسيله.

أما حكم سقوط التكفين عن الشهيد فإنه يخص الشهيد إن بقي بثيابه وإلّا فإنه يجب تكفينه وليست هنالك ثمة خلاف في ذلك. ولنا بغية إقامة

الدليل والحجة، أن نقول: إن الأخبار المروية حول إطلاق وجوب تكفين الميت سواء الشهيد أو غير الشهيد لا يتضمن إطلاقها الشهيد مـن بـقي بثيابه، والدليل على ذلك الحديث: يدفن كـما هـو فـي ثـيابه، وسـائر الحالات الأخرىٰ تدخل في إطار حكم الإطلاق في هذه الأخبار ويجب فيها التكفين[1].

---

١ ـ مجلة «حراس الثورة» الصادرة في إيران، السنة الأولى، العدد (٣)، ص (٧).

«فضيلة الشهيد»[1]

ليصغ أعضاء أسر ومتعلقي شهدائنا إلى بحثنا القصير هـذا.. إن كـل إنسان بل كل حيوان وكائن حي يجتاز بشكل عام طـوري الولادة ثـم الوفاة لمرة واحدة في حياته.. فكل إنسان يولد في يوم ثم يرحل في يوم آخر عن الدنيا ليحط رحاله في عالم آخر، فليست في مثل هذه المواليد أي ولادة الإنسان من قبل الأم أي سـمة وامـتياز خـاص، لأن جـميع الكائنات الحية وكافة الحيوانات تمر بمثل هذه المرحلة التي تليها من ثم الوفاة، فليس ثمة كائن حي يولد يوماً دون أن تتبع ولادته الوفاة. إلّا أنه هنالك ضرب آخر من المواليد، لا يتبعها الموت، ضرب لا يـتماثل مـع الولادة الإنسانية الأولى التي يحظىٰ بها جميع بني الإنسان وكذا أي من الكائنات الحية والحيوانات. إن هذا الميلاد حظوة لا يفوز بها الجميع بل يناله المتسامون من بني الإنسان والمتميزون من الأشخاص فقط.. إنـه ميلاد شخصية الإنسان..

---

١ ـ نص خطاب ألقاه الشهيد السيد عبد الكريم هاشمي نجـاد في اجـتماع لعـوائـل الشهداء باصفهان، وقد بادر حزب «جمهوري» إلى تدوينه ونشره تحت هذا العنوان.

هنالك تباين بين يوم مبعث النبي الكريم ويوم ميلاده ﷺ، ففي يوم ميلاد رسول الله ﷺ ولد جسم الرسول من أمه بينما تمت في يوم المبعث ولادة شخصيته ﷺ. إن هذا الميلاد لا يحظىٰ به جميع الناس ولا يتعلق بكل إنسان بل هو نصيب فريق خاص منهم.

إننا نتحدث عن ميلاد شخصية الإنسان وهو ميلاد لا يتبعه وفاة.. إنه ميلاد قد يحظى به الكثير من الناس فيما لو تمكنوا من إحراز النجاح في الوصول إلى هذه المرحلة بالطرق المتنوعة والوسائل والعوامل المختلفة، وإحدىٰ هذه الوسائل هي الشهادة، فالشهيد يجدد عهده بالولادة عند اختيار الشهادة نهجاً فيغيب عنه الموت إلى الأبد. والقرآن الكريم يؤكد على الإدلاء بهذه القضية في الآية الشريفة:

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

والقرآن بهذا يعارض التفكير بتاتاً بأن الشهيد قد توفي، وينهانا عن تبني مثل هذه التصورات أو الاندفاع وراء هذه الأفكار. كلا، فالشهيد حي لا يموت.

يا ترىٰ لماذا يؤكد القرآن على هذه القضية؟ لأن أي شهيد وبمجرد شهادته إنما يحظىٰ فوراً بميلاد جديد، ميلاد من ذاك النوع الذي لا يتبعه وفاة.. ميلاد يبتدئ به حياة سرمدية يتعذر إمحاؤها بأي عامل كان.. بناء على هذا فإننا عندما نتحدث عن الشهيد إنما نعني بذلك انساناً يختلف عن سائر الناس.. انساناً تسامىٰ وتعالىٰ نحو الكمال يطلب بذلك وجه الله

حتىٰ فاز بمنزلة العليين التي وعدهم فيها الله على لسان رسوله بالحياة الخالدة، وأكد على هذه القضية وعلى نهي الناس عن التفكير بأن الشهيد قد توفي ومات، فالشهيد حي لا يموت، ولا يطلق اصطلاح «الحي» على من يمشي ويتناول الطعام ويستنشق الهواء لأن الحياة لو اقتصرت على هذه الأمور فإن الحيوانات أيضاً تتمتع بهذه الحياة.. بل حياة الشهيد هي حياة أخرىٰ.. إن الشهداء قد انتقوا موتاً بمحض إرادتهم فكوفئوا ـ باختيار هذا الرحيل ـ بميلاد لا يتلوه ميتة فناء.

إن الطفل عندما يولد وتحدث ولادته في أسرة ما تتعلق بـه وثـيقة شخصية كالجنسية تبين من هو ومن أبوه ومن هي أمه.. إنها أمور تـتبع ولادته الأولى.. ففي الولادة الأولى يولد كل إنسان في بيئة أسرية وفي إطار معين يكون الأب فيه أحد أعضاء الأسرة وأسرته المعينة تنتمي إلى مجموعة خاصة.. فكيف به في ميلاده الثاني؟ هل يكـون للشـهيد بـعد ميلاده الثاني جنسية ووثيقة شخصية؟ نعم، إلّا أنها تنسبه ـ في محل تبيين أسرته وتابعيته ـ إلى الإسلام والمجتمع بأسره. فالشهيد بانطلاقة يسـمو سمواً يحطم به الأطر الأسرية السابقة.. إنه لم يـعد يـنتمي إلى الأسـرة الفلانية والأب فلان والأم فلانة بل أنه متعلق بالمجتمع البشري، متعلق بالإسلام، متعلق بالله تعالىٰ... إنه هو من يقول فيه الله تعالى: أنا «ديته».

على هذا بم نتقدم لآباء وأمهات الشهيد؟ أبالتهاني أم التعازي؟ عجباً، أن المجتمعات الحالية المتأثرة بالعالم الغربي أو الشرقي والعالم المادي تنظر إلى كل شيء من هذا الجانب.. فهذه أسرة أتم ولدها دراسة الثانوية

أو الجامعية وعثر على عمل ما. إنه أحرز نجاحاً يُهنّأ الأبوان عليه.. لماذا؟ يقال أن ابنهما تقدم خطوة نحو الأمام. فكيف بأسرة استشهد ولدها وكان أول من أعلىٰ شأنه هو الله تعالىٰ في كتاب سماوي وبهذه الدرجة من التأكيد؟ فبم ينبغي التقدم لمثل هذين الأبوين؟ أبالتهاني أم التعازي؟ الله أعلم، فلو تجردنا عن التكلف وبحثنا الموضوع من وجهة النظر الإسلامية نجد أن الإنسان إن كان مؤمناً بالله وبالوحي المنزل، ومتخلياً عن الحيوانية، ولو كان أبوا الشهيد وسائر أهله مؤمنين بالوحي فإنهم ينظرون إلى الحركة، التكامل، الموت والحياة من نظرة الله وأوليائه فإن الله يؤكد في القرآن على النهي عن التفكير بأن الشهداء أموات لأنهم قد ولدوا تواً.

ولنا في التاريخ أسوة.. بعثت الأم فتاها إلى ساحة القتال في صدر الإسلام.. إنه ولدها الوحيد، أرسلته يقاتل ووقفت على عتبة باب دارها.. مر بها قائد الجيش الإسلامي فاستوقفته وقدمت له صرة صغيرة، وقالت له أنها تحتوي كل ما تملكه وتمكنت من تقديمه إعانة لجيش المسلمين..

تركها قائد الجيش ولقي في طريقه أو في ساحة الحرب قبل بدء القتال فتاها دون أن يعلم أنها أمه فحكىٰ له ما كان من أمره مع هذه السيدة المسلمة وأنها بعثت كل مدخورها بل كل ما ملكت لتدعم جيش المسلمين به.

سأله الفتى أين لقيها، فأطلعه القائد على خصائص المكان، ولما سمع الفتى جوابه، أخبره بأن هذه السيدة أمه وقد بعثته إلى ساحة القتال وهو

ابنها الوحيد.

إصغَيْنَ أيتها الأمهات وأمعِنّ التفكير.. إنها بعثت ابنها الوحيد ليقاتل و في سبيل الله..

ظل القائد يرقب الفتىٰ فشاهده يبلي في القتال خير البلاء، وقبل اختتام المعركة لاحظ أنه قد تلقىٰ ضربة قاسية أوقعته من فرسه على الأرض والدماء تسيل من بدنه فهرع اليه.

قال الفتى: إن عدت إلى المدينة بلغ تحياتي لأمي وأخبرها أنني قد حاميت عن الإسلام وعن شرف نبي الإسلام قدر استطاعتي.

انتهت المعركة وعاد قائد الجيش إلى المدينة فجاء دار المرأة ذاتها فقرع الباب ففتحته السيدة أم الفتى وحيّته، وقبل أن يتفوه قائد الجيش بكلام سبقته إلى التحدث فسألته هل جاء يقدم لها التهاني أم التعازي؟

قال القائد: وكيف ذلك؟

أجابته أن شهادة فتاها لدليل على أن الله وجد فيها الجدارة لترعىٰ في حجرها من يفتدي الإسلام والقرآن والرسول ويخلد ذكر الله في الأرض فيكون قد جاء لتهنئتها، وإن كانت غير جديرة بذلك فعليه أن يعزيها.

قال القائد، فإن كان كذا فإنه يهنئها بشهادة فتاها.

يا عوائل الشهداء، أيها الآباء، الأمهات، الزوجات، الأبناء، الأخوات وإخوة الشهداء، إنها حكاية حقيقية، ونحن وشعبنا بأسره نشعر ببالغ الامتنان لكم فنحن على علم أن أي هتاف يصدر عن الإسلام اليوم في

بلادنا هذه، مرده تفاني أبنائكم الأعزاء.

أقول صراحة.. أن الفضل في أن قلب إمام الأمة ما زال يواصل ضربانه ودقاته ولسانه يطلق الهتافات، وأنه ما زال حياً وما يزال يقود مسيرة الأمة فإن ذلك رهن بتضحيات أبنائكم وبدماء أعزتكم. ولكنني أقول أيضاً أن الله هو الذي منّ عليكم بمثل هذا الفخر وهذه حقيقة لا محيد عنها. إنكم كنتم تواصلون الحياة فيما سبق كأية أسرية عادية والأمر ليس كذلك اليوم، إن أبناءكم كانوا متعلقين بكم بالأمس وهم اليوم متعلقون بالإسلام.

هل تعلمون أين تعثرون على أبنائكم مستقبلاً في يوم القيامة؟ أوجه كلامي إلى الزوجات اللاتي فقدن ازواجهنّ، إلى الآباء والأمهات الذين فقدوا أبناءهم، إلى الكرام الذين فقدوا آباءهم، إلى الأخوات والإخوة الذين فقدوا إخوتهم، أسألهم أتعلمون من سيكون بصحبة أبنائكم في المستقبل يوم الحشر وأين ستعثرون عليهم؟ ها هو القرآن يصرح قائلاً: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾، وإمام جميع الشهداء هو سيد الشهداءعليه السلام، يحشرون معه وهو يرفع لواء الشهادة بيديه الكريمتين.. سيكون الشهداء هنالك.. ستعثرون على أبناءكم هنالك.. ستعثرن على أزواجكن هنالك.. ستعثرون على إخوتكم وآبائكم هنالك.. سيقبلون في ذلك الركب.. ليس من السهل التحاقكم بهم في يوم القيامة. بالطبع تدل الوثائق الإسلامية على أن الشهيد يتمتع بحق الشفاعة وأنه يشفع (لهم) دون ريب والله أعلم بذلك. إن شهداءنا ومبادراتهم مدعاة افتخارنا

واعتزازنا واعتزاز الإسلام..

لقد تحدثت لعدة دقائق بالأمس في ذكرى شهادة أحد الشهداء هنا في «اصفهان».. لقد قلت هذه الجملة خلال تلك المراسيم، إنني قلت أن قرننا هو القرن العشرون وأن الإسلام لقادر على تنشئة مثل هؤلاء الشباب في القرن العشرين، شباب لا يريدون إلّا وجه الله ويتبارون معاً لنيل الشهادة ولهذا يلجأون إلى القرعة في جبهات القتال بغية تعيين المتقدم منهم إلى الأمام، فلماذا ياتُرىٰ؟ لأن كلاً منهم يسعىٰ للتقدم إلى الجبهات الأمامية حيث يكمن الخطر الأكبر والاحتمال الأوفر لنيل الشهادة، بأي المعايير يسعنا أن نقيم هؤلاء؟

لقد قلت في مراسيم الأمس هذه الجملة: إن الشهداء الذين نالوا الشهادة في ركب أبي عبد الله الحسين عليه السلام لو استثنينا منهم فريقاً يختلف في وضعه ومنهم أبو الفضل العباس عليه السلام، علي الأكبر عليه السلام، قاسم بن الحسن عليه السلام، حبيب بن مظاهر وآخرون كثيرون، فإن بقيتهم كانوا ممن يبصرون الإمام الحسين عليه السلام ويسمعون ضجيج أبنائه وتتناهى إلى مسامعهم صرخات مظلومية الحسين عليه السلام، كانوا يشاهدون هذه المواقف ويسمعون تلك الصرخات فيقبلون على التضحية والتفاني، فماذا عن أعزائنا هؤلاء؟ إنهم والله لمن المؤمنين بالغيب وكثير منهم لم ير حتى قائد الثورة عن كثب.. إنطلَقوا إلى تلك الصحاري الملتهبة وحاربوا وتبرعوا بدمائهم واستشهدوا استجابة لنداء الإمام ولبياناته وخطاباته، إنهم يحظون بمنزلة عليا، الكلام بشأنهم كثير والله ولكن المجال قصير جداً للأسف، إلّا

أنني سأقول عبارة حول آباء، أمهات، زوجات، إخوة، أخـوات وأبـناء الشهداء: إنني أرى أن الشهداء قد نالوا، والله، مرتبتهم السامية ولكن عبء الشهادة الثقيل ملقى على عاتقكم أنتم أيها الآباء، الأمهات، الزوجـات، الأخوات، الإخوة وأبناء الشهداء. هذا صحيح، ولكن الله لن يـغفل عـن ذلك.

إنها الزوجة الشابة التي تظل إلى جـانب الأطـفال الصـغار فـتعتلج عواطف هؤلاء الأطفال في منتصف الليل أحياناً حنيناً لذكرىٰ أبيهم.. إنها الزوجة الشابة التي ينبغي عليها أن تكفكف الدموع عن نواظـر هـؤلاء الأطفال متحملة هذا العبء الثقيل على عاتقها.. أخبرني أحد أصدقائي نقلاً عن إحدى العوائل أن لأحد الشهداء طفلاً لم يبلغ بعد مرحلة تمكنه من إدراك بعض القضايا وإنه لم يتنبه بعد لشهادة أبـيه.. إن هـذا الطـفل منكب على الوقوف على عتبة الدار معلناً أنه بانتظار عودة أبيه.. تـقول زوجة الشهيد: تبوء مساعيَّ لإدخاله إلى الدار بالفشل.. في بعض الأحيان يصر على الجلوس على عتبة الدار حتى يغلب عليه النعاس ثم نـحمله إلى داخل الدار فيستيقظ في منتصف الليل وغدا ذلك عادة اعتاد عليها هذا الطفل. إنها الزوجة الشابة هي التي تتحمل هذه المعاناة.. إنـه عبء لابد للأبوين أن يتعهدا بحمله، على الإخوة والأخـوات تـحمله، عـلى الأبناء تحمله، وبهذا تكون مسؤوليتكم ايتها العوائل، عوائـل الشـهداء، جسيمة للغاية.

إن العبء الذي حملتموه على أكتافكم مضن قاصم، لاسيما بالنسبة

لزوجات الشهداء من ذوات الأبناء، فإنهن يتعرضن لضغوط قاسية، وهذا ما تنبه له مجتمعنا الذي تقبل هذه المعاناة في سبيل الله. إن أول سؤال بادر إليه الزوج كان: وماذا عن ساحة المعركة؟ فأجابت الزوجة بأن الأمور تسير على خير ما يرام. فلماذا؟ لأن قائدهم، نبيهم ما زال حياً، فلا بأس بالبقية. النبي ﷺ حي وهذا حسبهم لتكون الأمور برأيهم على خير ما يرام.. لما نطقت بهذا الجواب اطمأن الجميع على سلامة الرسول ﷺ وانجلي الاضطراب والهياج والظنون. ثم بعدئذ سئلت هذه السيدة عن حمل بعيرها. فأجابت بأن حمل البعير ثلاث جثث أحداها لزوجها والأخرىٰ لأخيها والأخيرة لفتاها أتت بهم من ساحة المعركة تقصد مقبرة البقيع لتدفنهم فيها.

أيتها الزوجات، زوجات الشهداء، أيها الآباء والأمهات، آباء وامهات الشهداء، يا إخوة وأخوات الشهداء ويا أبناء الشهداء، هكذا كانت التنشئة الإسلامية. إنني أُهنئكم على احتفاظكم بها بعد ألف وأربعمائة عام واحتفظ مجتمعنا بها وهذا ما ترونه.. هذه سيدة فقدت زوجها، أخاها وابنها ومع ذلك تقول أن كل شيء يسعنا تحمله ما دام النبي حياً فينا وقائد نهضتنا قائماً بيننا. تغمدكم الله برأفته فقد حفظتم للإسلام شأنه، فما كان لنساء المدينة همّ أو غم سوىٰ نيل رضا الله وراحة بال الرسول ﷺ.

ففي هذه الغزوة، غزوة أُحد اجترعت أكثر العوائل بل قد تكون جميع العوائل هذه المعاناة فلم يكن هنالك أسرة لم تقدم شهيداً فساد النحيب والعويل أرجاء المدينة.. كان الرسول ﷺ يمر بهم فيرى البيوت قد عمها النواح والعزاء جميعاً. نطق الرسول ﷺ بعبارة ـوكان عمه حمزة سيد

الشهداء قد استشهد أيضاً في غزوة أُحد ـ فقال بأن جميع الشهداء لهم آباء، لهم أمهات ولهم أقارب يبكونهم إلّا عمه ليس له من يبكيه. فسمعت نساء المدينة ذلك فقررن منذ تلك الأوان أن يزحن عن قلب الرسول ما انتابه من كمد بأن يعتدن على استهلال أي مجلس عزاء يقام، بالبكاء على سيد الشهداء وبعد ذلك يبكون شهداءهم..

يا ابن الحسن، يا صاحب الأمر والزمان! إنني لا ادرك كنه ذلك، إذ أنني للأسف لم أنل هذا الفوز حتى الآن، فالأسر التي لم تقدم شهيداً لا تدرك ذلك، الآباء والأمهات الذين لم يقدموا شهيداً لا يدركون ذلك، لكنك تدرك ما يخامر أمهات وآباء، وزوجات وأخوات وإخوان الشهداء من مشاعر إلّا أنهم يتحملون ذلك رضا برضا الله وابتهاجاً بما يتطرق إلى الأسماع في هذا البلد من هتافات القرآن! إن عوائلنا هذه تتحمل كل ذلك كي ترتفع راية القرآن، كي يعلو نداء الرسول، كي يُرفع نداء الشهادة بالولاية، كي تتوفر مستلزمات ظهورك.

أجل، إننا لو أطلنا الكلام لساعات بل لأيام وأيام ما كان بمقدورنا ايتها الأُسر الكريمة، أسر الشهداء، أداء حق سموكم المعنوي ولو بعبارة واحدة. إن شعبنا برمته ينصاع لكم بملء وجوده.. لقد وفيتم بعهدكم.

أيتها الأمهات والزوجات اللاتي فقدتن أبناءكن وأزواجكن!

أيتها الأخوات اللائي فقدتن أخوانكن!

أيها الآباء والإخوة والأبناء ممن فقدتم أبناءكم وإخوتكم وآباءكم! إنكم لستم كأمثالنا، فلا حاجة لكم بعد للتوجه لأبي عبد الله الحسين عليه السلام

بالقول: «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً» كلا، لستم بحاجة لمثل هذا القول فقد آزرتم حسين زمانكم وقدمتم على نهجه القرابين.

ما بالكن أيتها الأخوات والأمهات؟ أين سيكون مقامكن يوم القيامة، إن ظننتن أنكن ستلبثن في محل آخر سوى جوار السيدة زينب الكبرىٰ عليها السلام فإنكن لم تعرفن الله حق قدره.

أيها الإخوة، الأمهات والآباء الذين فقدتم أعزتكم، إنكم لو واصلتم درب الشهداء وتحملتم في سبيل الحفاظ على شوكة الإسلام، والله إنكم إن حسبتم في تلك الحالة أنكم ماضون يوم القيامة إلى مكان سوىٰ جوار أبي عبد الله عليه السلام وشهداء كربلاء فإنكم لم تعرفوا الله حق قدره. إن الله شكور منان.. هل تعتقدون بأن المؤامرات قد نالت وطرها من هذه الثورة[1]، كلا إن دماء الشهداء الأبرار لن تمسح بذلك، والله اعلم إن القوة المعنوية الكامنة في كل قطرة من قطرات دماء الشهداء لهي أعظم من قوة أية ذرة. إنهم ولوعة قلوب أسرهم، دعائم ثورتنا. إلهي فيم رغب هؤلاء؟ إنهم لا يريدون إلّا بقاء اسمك ودينك عالياً شامخاً. أقسم بالنبي الكريم وبصاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن عوائل الشهداء، إما جميعها أو أغلبيتها، لم يغتموا ويحزنوا على فقد أعزتهم كما يجزعون عند سماعهم بما يصيب الإمام، قائد الثورة من الضيق أو بارتفاع ضغط دمه قليلاً أو باعتلاله. إنها قدرة الإسلام التي آلت على صنع الإنسان في القرن العشرين بهذا النحو وهذا ما أختم به كلامي.. إلّا

---

١ ـ ويقصد الثورة الإسلامية في إيران.

أنني لا استطيع غض النظر عن قراءة التعازي..

إن أولادكم سيحشرون يوم القيامة مع إمامهم سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ولكم أن تعثروا عليهم آنئذ في ركبه، تعثرن على أزواجكن معه. انظروا كيف نسي التاريخ هذا الدرس.. أتعلمون أن ساحة المعركة في كربلاء لم يقررها أو يتحكم بها ما كان مشهوراً من موازين جبهات القتال؟ فقد حضرها الشيب والشباب، الكبار والصغار، الكل حضروا المعركة والمعيار هنالك كان الإخلاص والتقوىٰ والإيمان. كان الشهداء وقبل توجههم الى ساحة المعركة طلباً للشهادة يأتون أبا عبد الله الحسين ويطلبون منه أن يأذن لهم بالتقدم، فالشهادة لا ينالها أي كان وهي كالرداء لا تليق بهيئة الإنسان كيفما كانت و«أم الشهيد، الشهيد على طريق الإسلام» فخر لا تناله جميع الأمهات وكذا «أبو الشهيد» لا يحظىٰ به كل أب وهكذا أخت الشهيد وأخو الشهيد وزوجة الشهيد وأبناؤه وسائر أعضاء أسرته.

يروىٰ أن أحد الفتيان ممن لم يبلغ الحلم بعد كان تقلد سيفاً يرزح على الأرض. جاء الفتىٰ أبا عبد الله الحسين يستأذنه بالقتال قبل الانصراف إلى ساحة المعركة فقال له الإمام بأن أمه قد تكره توجهه إلى ساحة القتال، فهتف الفتى مؤكداً بأن أمه هي التي قلدته السيف وبعثته إليه يستأذنه للقتال، فأذن له عليه السلام.

ينبغي أن لا نستنبط من هذه الرواية أن الفتىٰ لم يكن راغباً في الذهاب وأن أمه اضطرته لذلك ليحامي عن سيده أبي عبد الله

الحسينعليه السلام لأن الرغبة في التوجه إلى ساحة المعركة كانت مكنون امنيته هو.. انصرف الفتىٰ إلى ساحة القتال.. كان العرب قد اعتادوا أن يرتجزوا الشعر في الجبهات يعرفون خلاله أنفسهم فيذكر فيها أحدهم من هو ومن أبوه ولأي الأسر ينتمي و...، وهذا الفتى كغيره ارتجز أبياتاً شعرية لكنه لم ينسب نفسه فيها إلى أبيه أو أسرته أو آله وعرقه. كلا، إنه عرّف نفسه، قائلاً:

أميري حسين ونعم الأمير...

إنه خاطب الناس قائلاً: هل تعرفونني؟ الفخر ليس في نسبي إلى الأب فلان والعز ليس في انتمائي إلى العائلة الفلانية، إنني من اعتز بأنه اتخذ الحسين بن عليعليه السلام قائداً وإماماً، إعرفوني بقائدي، فنعم القائد هو.

إلهي أتوسل إليك بفضيلة الشهداء كافة، اختم هذه الحرب وهي حرب الإسلام ضد الكفر بنصر قاطع، صريح، دامغ وتام يحرزه شعبنا الإيراني المسلم.

أثر الشهادة ومقام الإنسان في الدار الآخرة

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الشهادة تكفّر كل شيء إلّا الدَّين»[١].

---

١ ـ كنز العمال.

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اول ما يهرق من دم الشهيد يغفر له ذنبه كله إلّا الدَّين»[١].

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«يغفر للشهيد كل ذنب إلّا الدَّين»[٢].

٤ ـ وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره»[٣].

٥ ـ سئل النبي صلى الله عليه وآله: «ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلّا الشهيد؟ فقال: كفىٰ ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[٤].

ولِمَ لا وقد فتن ابتداءً فأجاب جميع الاستفسارات فأبدىٰ بذلك صدق وحقيقة نواياه فلم تعد من حاجة لفتنته واختباره في عالم البرزخ.

٦ ـ قال الباقر عليه السلام:

«كل ذنب يكفّره القتل في سبيل الله إلّا الدَّين فإنه لا كفارة له إلّا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحق»[٥].

---

١ ـ كنز العمال.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ المصدر السابق.

٤ ـ المصدر السابق.

٥ ـ تفسير نور الثقلين، المجلد(١)، ص (٥١٧).

٧ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا»[١].

«الفائزون بأجر الشهادة»

ـ من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها، ولو لم تصبه[٢].

ـ من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه[٣].

ـ قال علي عليه السلام:

«المؤمن على أي حال مات، وفي أي ساعة قُبض، فهو شهيد»[٤].

ـ من مات على حب آل محمد، مات شهيداً.

ـ إذا جاء الموت لطالب العلم فمات وهو شهيد[٥].

ـ عن منهال القصاب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ادع الله أن يرزقني الشهادة، فقال: المؤمن شهيد، ثم تلا: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك

---

١ ـ بحار الأنوار، المجلد (٦).

٢ ـ صحيح مسلم، المجلد (٣)، ص (١٥١٧).

٣ ـ المصدر السابق.

٤ ـ بحار الأنوار، المجلد (٦٨)، ص (١١٤).

٥ ـ نهج الفصاحة، ص (٣٧).

هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾.

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله»[1].

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الطاعون شهادة لكل مسلم»[2].

ـ وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: كل مؤمن من أمتي صدّيق شهيد ويكرم الله بهذا السيف من شاء من خلقه ثم تلا: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾.

ـ روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كل نعيم مسؤول عنه العبد إلّا ما كان في سبيل الله[3].

ينبغي أن نتنبه إلى أن التعاريف السالفة إنما حبا بها المقاتلين في سبيله فقط دون غيرهم، والدليل على ما ذهبنا إليه هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيمن تحامل على جيش العدو طمعاً في حمار، فقتل أنه «قتيل الحمار».

---

١ ـ صحيح مسلم، المجلد (٣)، ص (١٥٢٢).

٢ ـ المصدر السابق، ص ١٥٢٣

٣ ـ بحار الأنوار، المجلد (١٠٠).

إذاً يجب أن نترقب أوضاعنا لئلا نتردىٰ من أعلى العليين نحو أسفل السافلين كالذين يحدثنا التاريخ الإسلامي عن نماذج كثيرة منهم.

علينا أن نغالي في الحرص على غلق أبواب قلوبنا بوجه الغرور فقد قضى الشيطان ستة آلاف سنة يعبد فيها الله ثم محق عمله بتكبره وغروره فنبذه الله.

فلنسع لتنقية نوايانا في أعمالنا لله ولا نقاتل إلّا في سبيله ولنحذر من الغرور والكبر ونعلم أننا لسنا أصحاب منة على الناس بتوجهنا إلى القتال بل أن الله قد منّ علينا ووفقنا للجهاد في سبيله.

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضيلة يوم الجمعة، فقال:

«فإن مات في يومه وليلته مات شهيداً»[١].

تدل الأحاديث والأخبار الآنفة على أن المؤمن الملتزم بإيمانه ودينه يفوز بمنزلة الشهيد من لدن الله وإن لم يستشهد، إلّا أن للشهادة درجات ينال أعلاها المقتول في ساحة قتال العدو[٢].

---

١ ـ مدينة البلاغة، المجلد (١)، ص ٤٨.

٢ ـ عن أبي بصير، قال: قال لي الصادق (ع) يا أبا محمد، إن الميت على هذا الأمر شهيد.

قلت: جعلت فداك وإن مات على فراشه؟

قال: وإن مات على فراشه، فإنه حي يرزق. (بحار الأنوار، المجلد ٦٨، ص ١٤٢).

ـ قال علي (ع): من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله ←

→ وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوىٰ من صالح عمله وقامت النية مقام إصلاته لسيفه. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد ١٣، الخطبة ٢٣٦).

ـ قال الصادق (ع): إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفة في سبيل الله. (بحار الأنوار، المجلد ٦٨، ص ٦٨).

ـ قال السجاد (ع): من مات على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحد. (بحار الأنوار، المجلد ٨٢، ص ١٧٣).

ـ قال رسول الله (ص): من قُتل دون مظلمته فهو شهيد. (كنز العمال).

ـ قال رسول الله (ص): من قتل دون ماله فهو شهيد.

ـ قال رسول الله (ص): قاتل دون مالك حتى تحوز مالك أو تقتل فتكون من شهداء الآخرة. (كنز العمال).

ـ قال رسول الله (ص): نعم الميتة أن يموت الرجل دون حقه. (كنز العمال).

ـ قال رسول الله (ص): من عشق فكتم وعفّ فمات فهو شهيد (كنز العمال).

ـ قال علي (ع): ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعفّ: لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة. (نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٤).

ـ في حديث عبادة النبي (ص) مع أصحابه لعبد الله بن رواحة: من الشهيد من أمتي؟ فقالوا: أليس هو الذي يقتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر؟ فقال رسول الله (ص): إن شهداء أمتي إذاً لقليل! الشهيد الذي ذكرتم، والطعين، والمبطون، وصاحب الهدم والغرق، والمرأة تموت جمعاً. قالوا: وكيف تموت جمعاً يا رسول الله؟ قال: يعترض ولدها في بطنها. (بحار الأنوار، المجلد ٨١، ص ٢٤٥).

قال رسول الله (ص): من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد (كنز العمال).

قال رسول الله (ص): من قتل دون أهله ظلماً فهو شهيد، من قتل دون ماله ظلماً فهو ←

أقســـمت لا أُقــتل إلّا حــرا   وإن رأيت المــوت شـيئاً نكـرا

أكــره أن أدعـــى جــباناً فــرّا   إن الجــبان مـــن عـــصىٰ وفـرا

«عن مسلم بن عقيل»

← شهيد ومن قتل دون جاره ظلماً فهو شهيد، ومن قُتل في ذات الله عز وجل فهو شهيد. (كنز العمال).

قال رسول الله (ص): من قاتل دون نفسه حتى يقتل فهو شهيد. (كنز العمال).

قال رسول الله (ص): كتب الله الجهاد على رجال أمتي والغيرة على نساء أمتي فمن صبر منهن واحتسب أعطاها الله أجر شهيد. (سنن البيهقي، المجلد ٩، ص ٢٥ ومستدرك الوسائل، المجلد (١١)، ص ٢٤).

«إننا لم نفقد هؤلاء الشهداء بل رزقنا بـهم.. إنـهم مـدعاة فـخرنا واعتزازنا»

«الشهيد بهشتي

الفصل الرابع

«فضيلة الشهيد في الآيات القرآنية»



لمحة عن الشهادة وفضيلة الشهداء من وجهة نظر القرآن

حبت الآيات القرآنية هؤلاء المتفانين من الماضين في العمل على كسب رضا الله وهؤلاء البواسل المتحررين، بأسمىٰ درجات الإكبار والإجلال، حيث وصفتهم بالأحياء الخالدين الذين انضموا إلى صفوف الأنبياء.

ومن الآيات المتعلقة بعشاق نهج الإيمان الأسمىٰ:

١ ـ ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[١].

٢ ـ ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء وقُضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾[٢].

---

١ ـ سورة النساء، الآية (٦٩).

٢ ـ سورة الزمر، الآية (٦٩).

٣ـ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾[١].

توضيح: تدل الآية الأخيرة على أن المؤمنين بالله ورسله هم الصديقون (في فعالهم وأقوالهم) والشهداء.

ويؤيد هذا المعنىٰ مدلول الآية الأولى التي جاءت أولاً على ذكر لفظة «الصديقين» ثم لفظة «الشهداء» ـ بمعناها المألوف ـ على حدة.

والاحتمال الآخر هو أن المراد بالشهداء هم الشخصيات المتكاملة ممن اتخذهم الناس أسوة النضوج والكمال في الحياة الدنيا، كما في الآية ﴿ ليكونوا شهداء على الناس﴾[٢].

وتعبّر الآيات الثلاث كما جاء في تفسير نهج البلاغة[٣] عن أرقىٰ إجلال وإكرام لمنزلة الشهداء الشامخة.

---

١ ـ سورة الحديد، الآية (١٩).

٢ ـ سورة البقرة، الآية (١٤٣).

٣ ـ المجلد (٦)، ص ٢٤.

فضيلة الشهدا.. في القرآن:

٤ـ ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين. الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾[1].

التفسير:

الحياة السرمدية:

يرىٰ بعض المفسرين أن هذه الآيات قد نزلت في شهداء «أُحد» ويرى آخرون أنها نزلت في شهداء «بدر» ولكن الصواب هو أن ارتباط هذه الآيات بما قبلها من الآيات يدل على أنها نزلت في أعقاب حادثة

١ ـ سورة آل عمران، الآيات (١٦٩ ـ ١٧٢).

«أحُد» وإن كان محتواها عاماً يشمل جميع الشهداء ومنهم شهداء «بدر» الذين كانوا (١٤) شهيداً، ولهذا روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال: «إنها تتناول قتلى بدر وأُحد معاً»[١].

وقد روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:اطلع إليهم (أي إلى أرواح شهداء أُحد وهي في الجنة) ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ. فقال تعالىٰ: قد سبق مني أنهم لا يرجعون، قالوا: فتقرئ نبينا السلام وتبلغهم ما نحن فيه من كرامة فلا يحزنوا، فنزلت هذه الآيات[٢].

وعلى كل حال يبدو أن بعض من ذوي الإيمان الضعيف كانوا ـ في مجالسهم وندواتهم بعد حادثة أُحد ـ يعربون عن أسفهم على شهداء أُحد ـ وكيف أنهم ماتوا وفنوا، وخاصة عندما تتحدر عليهم النعمة فيأسفون لغياب أولئك القتلىٰ في تلك المواقع، وكانوا يحدثون أنفسهم قائلين: كيف ننعم بهذه النعم والمواهب وإخواننا وأبناؤنا رهن القبور لا يصيبهم ما أصابنا من الخير، ولا يمكنهم أن يحظوا بما حظينا به من النعيم؟!

وقد كانت هذه الأفكار والأقاويل ـ مضافاً إلى بطلانها ومخالفتها

---

١ ـ تفسير نور الثقلين، المجلد (١)، ص ٤٠٦، نقلاً عن تفسير العياشي.

٢ ـ تفسير الدر المنثور، المجلد (٢)، ص ٩٥ ـ ٩٦.

للواقع ـ تسبب إضعاف الروح المعنوية لدى ذوي الشهداء.

فجاءت هذه الآيات لتفند كل هذه التصورات، وتذكّر بمكانة الشهداء السامية، ومقامهم الرفيع وتقول: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾.

والخطاب هنا موجه إلى رسول الله ﷺ خاصة حتى يحسب الآخرون حسابهم.

ثم يقول سبحانه معقباً على العبارة السابقة: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

والمقصود من الحياة في الآية هي «الحياة البرزخية» في عالم ما بعد الموت، لا الحياة الجسمانية والمادية، وإن لم تختص الحياة البرزخية بالشهداء، فللكثير من الناس حياة برزخية أيضاً[1]، ولكن حيث أن حياة الشهداء من النمط الرفيع جداً، ومن النحو المقرون بأنواع النعم المعنوية، هذا إلى جانب كونها محور البحث والحديث في هذا السياق القرآني، لذا خصوا بالذكر وخصت حياتهم بالإشارة في هذه الآية دون سواهم ودون غيرهم أيضاً.

إن حياتهم البرزخية محفوفة بالنعم والمواهب المعنوية العظيمة وكأن حياة الآخرين من البرزخيين بما فيها لا تكون شيئاً يذكر مقارنة معها.

---

١ ـ يذهب بعض المحققين إلى أن الحياة البرزخية حياة يتمتع بها فئتان من الناس الصالحون جداً والطالحون جداً.

ثم أن الآية التالية تشير إلى بعض مزايا حياة الشهداء البرزخية، وما يكتنفها ويلازمها من عظيم البركات وجليل النعماء فتعلن عن ذلك بذكر عظيم ابتهاجهم وسرورهم بما أوتوا، فتقول: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾.

ثم أن السبب الآخر لابتهاجهم وسرورهم هو ما يجدونه ويلقونه من عظيم الثواب ورفيع الدرجات الذي ينتظر إخوانهم المجاهدين الذين لم ينالوا شرف الشهادة في المعركة إذ يذكر القرآن: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم..﴾.

ثم تردف الآية: ﴿ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يعني أن الشهداء يشعرون هنالك وعلى ضوء ما يرونه أن اخوانهم المجاهدين لن يكون عليهم أي خوف مما تركوه في الدنيا ولا أي حزن من الآخرة ووقائعها الرهيبة.

على أنه من الممكن أن يكون لهذه الآية معنى آخر هو أن الشهداء وإلى جانب سرورهم بما يلحظونه من درجات ومراتب رفيعة لإخوانهم الذين لم ينالوا شرف الشهادة ولم يلتحقوا بهم، لا يشعرون أيضاً بأي خوف من مستقبل أنفسهم ولا أي حزن من الماضي[1].

١ ـ الضمائر في «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» حسب التفسير الأول تعود إلى المجاهدين الذين ما زالوا على قيد الحياة إذ لم يلتحقوا بالشهداء وعلى التفسير الثاني تعود إلى الشهداء أنفسهم.

ثم أنه سبحانه يقول: ﴿ يستبشرون[1] بنعمة من الله وفضل﴾.

وهذه الآية ـ في الحقيقة ـ تكرر على التأكيد بشأن البشائر التي يتلقاها الشهداء بعد قتلهم واستشهادهم وبهذا يكون مرد فرحهم وسرورهم أمرين:

١ ـ ليس من ناحية النعم والمواهب الإلهية التي يتلقونها فقط بل بالتصعيد المتزايد المستمر للنعم أيضاً والذي يشمل الشهداء كذلك.

٢ ـ من ناحية أنهم يرون أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المؤمنين.. سواء الشهداء أو المجاهدين الصادقين الذين لم ينالوا ذلك الشرف رغم حضورهم المعركة: ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾.

أجل، إنهم يرون بأم أعينهم ويسمعون بآذانهم ما كانوا يوعدون به معداً لها فيالها من فرحة مضاعفة[2].

---

١ ـ الاستبشار يعني الابتهاج والسرور الحاصل بسبب تلقي بشارة أو نيل نعمة للنفس أو للغير من الأحبة، وليست بمعنى التبشير والإبشار.

٢ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية.

٥ ـ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾[1].

سبب النزول:

روي عن ابن عباس ان الآية نزلت في قتلى بدر، وعددهم أربعة عشر، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. وبعد انتهاء الغزوة كان بعض المسلمين يقولون بشأن الشهداء بأنهم ماتوا فنهت الآية عن ذلك.

التفسير:

في كل حركة وانتفاضة تنزوي مجموعة محبة للعافية، وتبتعد عن الأمة الثائرة ولا تكتفي بتقاعسها وتكاسلها بل تسعىٰ إلى تثبيط عزائم الآخرين وبث الرخوة والتماهل في المجتمع. ما أن تظهر حادثة مؤلمة حتى يعربون عن أسفهم وينقمون على الحركة التي أدت إلى هذه الحادثة، غافلين أن كل هدف مقدس يحتاج إلى تضحيات وتلك سنة

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (١٥٤).

كونية.

القرآن الكريم يتحدث عن مثل هذه الفئة كراراً ويؤنّبهم بشدة.

ثمة أفراد من هؤلاء كانوا يتظاهرون بالتأسف والتألم على (موت) شهيد من شهداء الإسلام في المعركة، ويبعثون بذلك القلق والاضطراب في النفوس.

والله سبحانه يرد على هذه الأقاويل السامة بالكشف عن حقيقة كبرىٰ هي أن الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله ليسوا بأموات.. إنهم أحياء.. ويتمتعون بنعم الله ورضوانه، لكن هذه الحقائق لا تدركها مشاعر بني الإنسان المكبلة بإطار عامل الحس.. إنهم يتحدثون مع بعضهم البعض وهم في غمرة الرضا والسعادة.

وهنالك من الأخبار ما يؤيد هذا التفسير، وقد فصلت البحث حول الحياة البرزخية (الحياة منذ الموت وحتى البعث) والتي تدل الآية الحاضرة بوضوح على حقيقة وجودها. إذ تعتبر رداً صريحاً على القائلين بأن القرآن لم يُشِر إلى بقاء الروح والحياة البرزخية.

ولكن ينبغي نتنبه الى أن الآية تتناول موضوع الشهداء وبالضبط الشهداء في سبيل الله، ويخالف ظاهر الآية ما يذهب إليه البعض بأن المراد من الحياة فيها هو وجود الآثار. لا يخفىٰ أن الحياة البرزخية لا تكون بهذا الجسم المادي لأنهم كما يقول الإمام الصادق عليه السلام يعيشون

تلك الحياة بجسم مثالي[1].

من المفسرين من قال إنها «حياة غيبية» خاصة بـالشهداء لا تـتوفر لدينا تفاصيلها وخصائصها.

وقيل أن الحياة المذكورة في الآية تـعني الهـدايـة، والمـوت يـعني الضلال، فتكون الآية قد نهت عن وصـف الشـهداء بـالضلالة بـل هـم مهتدون. وقيل إن الشهداء أحياء لأن هدفهم حي ورسالتهم حية. يتضح مما ذكر أن جميع الاحتمالات غير منطقية فليس ثمة حاجة لتفسير الآية بالمعنى المجازي أو تحديد قضية الحياة البرزخية بالشهداء.

درس عظيم

لو ألقينا نظرة على تاريخ الإسلام، والملاحم التي سطرها المسلمون في جهادهم الدامي، والتضحيات التي قدمها المـجاهدون عـلى طـريق الرسالة، لألفينا أن الدافع الأساس لكل هذه التضحيات هو درس الشهادة الذي لقنه الإسلام لأبنائه، وبموجبه آمنوا أن الشهادة على طريق الإسلام، وطريق الحق والعدالة، لا تعني الفناء، بل السعادة والحياة الخالدة.

المقاتلون الذين تلقوا مثل هذا الدرس في مثل هذه المدرسة الكبرىٰ، لا يقاسون بالمقاتلين العاديين الذين يحاربون لصيانة أرواحـهم، اولئك يحاربون من أجل الرسالة، ويندفعون بشوق عـظيم نـحو كسب وسـام

---

١ ـ تفسير نور الثقلين، المجلد (٣)، ص (٥٥٩).

الشهادة.

إن هذه المبادئ تصرف أفكارهم عن الحفاظ على أرواحهم وتوجههم نحو التمسك بهدفهم المقدس وتحثهم للتفكير بإعلاء راية دينهم بدلاً من الحفاظ على أنفسهم، وهذا ما مثل سر انتصار المجاهدين في صدر الإسلام على الأعداء رغم تفوقهم من جميع الجوانب[1].

---

١ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية.

٦ ـ ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾[1].

التفسير:

تجارة لا نظير لها

الآيات السابقة ينساق الكلام فيها عن المتخلفين عن الجهاد بينما تبين هاتان الآيتان المكانة الرفيعة للمجاهدين المؤمنين مع ذكر مثال رائع.

لقد عرّف الله سبحانه وتعالى نفسه في هذا المثال بأنه مشتر والمؤمنين

١ ـ سورة التوبة، الآيتان (١١١ ـ ١١٢).

بأنهم بائعون. وقال:

﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾.

ولما كانت كل معاملة تتكون في الواقع من أركان أساسية خمسة، هي: المشتري، والبائع، والمتاع، والثمن، ووثيقة المعاملة، فقد أشار الله سبحانه إلى كل هذه الأركان، فجعل نفسه مشترياً، والمؤمنين بائعين، وأموالهم وأنفسهم متاعاً وبضاعة والجنة ثمناً لهذه المعاملة. غاية ما في الأمر أنه حدد طريقة تسليم البضاعة بأسلوب لطيف، فقال: ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون﴾ وفي الواقع فإن يد الله سبحانه حاضرة في ميدان الجهاد لتقبل هذه البضاعة، سواء كانت روحاً أم مالاً يبذل في أمر الجهاد.

ثم يشير بعد ذلك إلى وثيقة المعاملة الثابتة، والتي تشكل الركن الخامس فيها، فقال: ﴿ وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾.

إذا أمعنا النظر في قوله: «في سبيل الله» يتضح جلياً أن الله تعالى يشتري الأرواح والجهود والمساعي التي تبذل وتصرف في سبيله، أي سبيل إحقاق الحق والعدالة، والحرية والخلاص لجميع بني البشر من قبضة الكفر والظلم والفساد.

ثم، ومن أجل التأكيد على هذه المعاملة، تضيف الآية: ﴿ ومن أوفىٰ بعهده من الله﴾، أي أن ثمن هذه المعاملة وإن كان مؤجلاً، إلّا أنه مضمون، ولا وجود لأخطار النسيئة، لأن الله تعالى لغني وقادر وهذا ما يجعله أوفىٰ عهداً من الجميع، فهو لا ينسىٰ ولا يعجز عن الأداء ولا

يصدر عنه ما يخالف الحكمة ليندم عليه ويعود عنه ولا يخلف وعده والعياذ بالله، وعلى هذا فلا يبقى أي مجال للشّك في وفائه بعهده، وأدائه الثمن في الموعد المقرر.

والأروع من كل شيء أنه تعالىٰ قد بارك للطرف المقابل صفقته، ويتمنىٰ لهم أن تكون صفقة وفيرة الربح، تماماً كما هو مألوف بين التجار، فيقول عز وجل: ﴿ فاستبشروا[١] ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

وقد جاء مثل هذا البحث مع فارق في التعبير في الآيتين (١٠ و١١) من سورة الصف حيث يقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾.

إن الإنسان ليقع في حيرة هنا من كل هذه العناية والرحمة الإلهية، فإن الله المالك لكل عالم الوجود، والحاكم المطلق على جميع عالم الخلقة، وكل ما يملكه أي موجود من فيضه ومنحته، يبدو في مقام المشتري لنفس هذه المواهب التي وهبها لعباده، ويشتري ما أعطاه بمئات الأضعاف.

---

١ ـ «فاستبشروا» مأخوذة عن مادة «البشارة» المأخوذه من «البشر» أي وجه الإنسان وهي إشارة لآثار الفرح والسرور البادية بوضوح على وجه الإنسان.

والأعجب من ذلك، أن الجهاد الذي هو السبب في شموخ الإنسان، ونصر وافتخار كل أمة، وثمراته تعود في النهاية عليها، قد اعتبر دفعاً وتسليماً لهذه البضاعة.

ومع أن المألوف هو أن يعادل الثمن قيمة البضاعة إلّا أن التعادل لم يلاحظ في هذه المعاملة، وجعلت السعادة الأبدية في مقابل بضاعة متزلزلة يمكن أن تفنى في أية لحظة، على الفراش المرض حيناً، وفي ساحة القتال حيناً آخر.

والأهم من هذا أن الله سبحانه وتعالىٰ مع أنه أصدق الصادقين جميعاً، وعدم حاجته إلى وثيقة وضمان فإنه تعهد بأهم الوثائق والضمانات أمام عبيده.

وفي نهاية هذه المعاملة العظيمة، والصفقة الكبيرة، فإنه قد بارك لهم وبشرهم، فهل تتصور رحمة ومحبة أعلى من هذه؟!

وهل هنالك معاملة أكثر ربحاً من هذه؟!

ولهذا ورد في حديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه لما نزلت هذه الآية كان النبي صلى الله عليه وآله في المسجد، فتلاها بصوت عال، فكبّر الناس، فتقدم رجل من الأنصار وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «نعم» فقال الأنصاري: «بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل»[1].

---

١ ـ تفسير الميزان نقلاً عن الدر المنثور.

تجمل الآية بادئاً الكلام كما هو السياق القرآني ثم تعمد الآية التالية إلى التفصيل. ففي الآية الثانية محل البحث بيّن الله سبحانه الخصائص المتميزة للمؤمنين ـ البائعين لأنفسهم وأموالهم ـ فهم:

١ ـ المنيبون الذين يغسلون أدران الآثام عن قلوبهم وأرواحهم بماء التوبة: «التائبون».

٢ ـ المطهرون أنفسهم من خلال نفحات الدعاء والمناجاة مع ربهم: «العابدون».

٣ ـ الحامدون والشاكرون لكافة نعم الله المادية والمعنوية: «الحامدون».

٤ ـ وهم يتنقلون من مكان عبادة إلى آخر: «السائحون».

وبهذا فإن برامج تربية النفس التي يتبعها هؤلاء لا تتحدد بالعبادة أو بإطار معين أو في أفق خاص بل أن كل مكان هو محل عبادة الله وجهاد النفس وتربيتها من وجهة نظر هؤلاء وكل مكان يوحي لهؤلاء بدرس وعبرة فإنهم يقصدونه.

و (السائح) في الأصل مأخوذ من (سيح)، و (سياحة) والتي تعني السيولة والاستمرار.

وهناك بحث بين المفسرين فيما هو مقصود من السائح من هذه الآية، وأي ضرب من السيح هو؟ فبعضهم يرىٰ ـ كما سلفت الإشارة ـ أن السير في تربية النفس وجهادها إنما يكون في أماكن العبادة، ففي حديث عن

النبي ﷺ جاء: «سياحة أمتي في المساجد»[١].

والبعض الآخر يقول: أن السائح هو الصائم لأن الصوم عمل متواصل طوال اليوم، وفي حديث آخر عن النبي ﷺ: «إن السائحين هم الصائمون»[٢].

وفريق آخر من المفسرين يذهب إلى أن السياحة تعني التنقل والتجوال في الأرض بغية مشاهدة آثار عظمة الله، ومعرفة المجتمعات البشرية، والتعرف على عادات وتقاليد وعلوم الأقوام التي تحيي فكر الإنسان وتنميه وتطوره.

وآخرون من المفسرين يرون أن السياحة تعني التوجه إلى سوح القتال ومحاربة الأعداء، والدليل الذي يأخذونه بالحسبان هو الحديث النبوي: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[٣].

وأخيراً فإن البعض يعتقد أنها سير العقل والفكر في خضم المسائل المختلفة المرتبطة بعالم الكون والتفكر والتدبر فيها، ومعرفة عوامل السعادة والفلاح، وأسباب الهزيمة والخذلان.

إلّا أن الأوصاف السالفة والتالية تدفعنا لترجيح المعنى الأول واعتباره الأنسب من بين المعاني الأخرىٰ، وإن كانت جميعها محتملة على صعيد

---

١ ـ تفسير الميزان، ذيل الآية.

٢ ـ تفسير نور الثقلين، وكثير من التفاسير الأخرى.

٣ ـ تفسير الميزان وتفسير المنار، ذيل الآية.

تفسير هذه الكلمة لأنها تجمع في مفهوم السير والسياحة.

٥ ـ الراكعون إزاء عظمة الله: **«الراكعون»**.

٦ ـ المطأطئون رؤوسهم أمام خالقهم، الساجدون له: **«الساجدون»**.

٧ ـ الذين يدعون الناس لعمل الخير: **«الآمرون بالمعروف»**.

٨ ـ ممن لا يكتفون بهذه الدعوة للخير بل يحاربون كل منكر وفساد: **«والناهون عن المنكر»**.

٩ ـ وهم بعد قيامهم برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدوا آخر وأهم فريضة اجتماعية وهي حفظ حدود الله وتطبيق قوانينه، وإقامة الحق والعدالة: **«والحافظون لحدود الله»**.

وبعد ذكر هذه الصفات التسع فإن الله يرغّب ـ مرة أخرى ـ أمثال هؤلاء المؤمنين المخلصين الحقيقيين والمتربين في مدرسة الإيمان والعمل، ويقول للنبي صلى الله عليه وآله: وبشّر المؤمنين.

ولما لم يذكر متعلقاً بالبشارة، وبتعبير آخر، إن البشارة جاءت مطلقة فإنها تدلي بمفهوم أوسع يدخل في إطار كل خير وسعادة، أي بشر هؤلاء بكل خير وسعادة واعتزاز.

وينبغي الالتفات إلى أن الصفات الست الأولى ترتبط بجانب جهاد النفس وتربيتها، والصفة السابعة والثامنة بالواجبات الاجتماعية الحساسة، وتشير إلى تنزيه البيئة الاجتماعية وتخليصها من التلوث والأمراض. والصفة الأخيرة تتحدث عن المسؤوليات المختلفة المتعددة

المرتبطة بتشكيل الحكومة الصالحة، والمساهمة الفاعلة في القضايا السياسية الإيجابية[1].

مع العلامة الطباطبائي وتفسير الآية:

جاء في تفسير الميزان:

قوله تعالىٰ: ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة...﴾ الاشتراء هو قبول العين المبيعة بنقل الثمن في المبايعة.

والله سبحانه يذكر في الآية وعده القطعي للذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بالجنة، ويذكر أنه ذكر ذلك في التوراة والإنجيل كما يذكره في القرآن.

وقد قلبه سبحانه في قالب التمثيل فصوّر ذلك بيعاً، وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بائعين، وأنفسهم وأموالهم سلعة ومبيعاً، والجنة ثمناً، والتوراة والإنجيل والقرآن سنداً للمبايعة. وهو من لطيف التمثيل ثم يبشر المؤمنين ببيعهم ذلك، ويهنئهم بالفوز العظيم.

قوله تعالى: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون...﴾، يصف سبحانه المؤمنين بأجمل صفاتهم. والصفات مرفوعة بالقطع أي المؤمنين هم التائبون العابدون، إلخ، فهم التائبون لرجوعهم من غير الله إلى الله

---

١ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية.

سبحانه، العابدون له ويعبدونه بألسنتهم فيحمدونه بجميل الثناء، وبأقدامهم فيسيحون ويجولون من معهد من المعاهد الدينية ومسجد من مساجد الله إلى غيره، وبأبدانهم فيركعون له ويسجدون له.

هذا شأنهم بالنسبة إلى حال الانفراد وأما بالنسبة إلى حال الاجتماع فهم آمرون بالمعروف في السنة الدينية وناهون عن المنكر فيها ثم هم حافظون لحدود الله لا يتعدونها في حالتي انفرادهم واجتماعهم، خلوتهم وجلوتهم. ثم يأمر النبي ﷺ بأن يبشرهم وقد بشرهم تعالىٰ نفسه في الآية السابقة، وفيه من كمال التأكيد ما لا يقدر قدره.

وقد ظهر بما قررنا أولاً: وجه الترتيب بين الأوصاف التي عدّها لهم، فقد بدأ بأوصافهم منفردين وهي التوبة والعبادة والسياحة والركوع والسجود، ثم ذكر ما لهم من الوصف الخاص بهم المنبعث عن إيمانهم مجتمعين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وختم بما لهم من جميل الوصف في حالتي انفرادهم واجتماعهم وهو حفظهم لحدود الله، وفي التعبير بالحفظ مضافاً إلى الدلالة على عدم التعدي دلالة على الرقوب والاهتمام.

وثانياً: أن المراد بالسياحة ـ ومعناها السير في الأرض ـ على ما هو الأنسب بسياق الترتيب هو السير إلى مساكن ذكر الله وعبادته كالمساجد، وأما القول بأن المراد بالسياحة الصيام أو السياحة في الأرض للاعتبار بعجائب قدرة الله وما جرى على الأمم الماضية مما تحكيه ديارهم وآثارهم أو المسافرة لطلب العلم أو المسافرة لطلب الحديث خاصة فهي

وجوه غير سديدة[1].

أما الأول: فلا دليل عليه من جهة اللفظ البتة، وأما الوجوه الأُخر فإنها وإن كانت ربما استفيد الندب إليها من قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾[2]. وقوله: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾[3] إلّا أن إرادتها من قوله (السائحون) تبطل جودة الترتيب بين الصفات المنضودة.

وثالثاً أن هذه الصفات الشريفة هي التي يتم بها إيمان المؤمن المستوجب للوعد القطعي بالجنة المستتبع للبشارة الإلهية والنبوية وهي الملازمة للقيام بحق الله المستلزمة لقيام الله سبحانه بما جعله من الحق على نفسه»[4].

إذاً، يتطبع الجهاد والقتال في سبيل الله بطابع المعاملة مع خالق الحياة والموت. وقد قال أبو القاسم لاهوري في بيت من أشعاره حول شهادة الإمام الحسين عليه السلام بما معناه:

البائع حسين، روحه البضاعة والمشتري الباري

تعال شاهد البضاعة، تطلع إلى البائع وأمعن في المشتري

١ـ ويقصد لا تتناسب مع سياق الآية.

٢ـ سورة المؤمن، الآية (٨٢).

٣ـ الآية (١٢٢) من السورة.

٤ـ تفسير الميزان، الجزء الحادي عشر، ص ٤١٠ـ٤١١.

هل أن الشهادة حقاً صفقة يحتاج الله سبحانه وتعالىٰ لعـقدها؟ كـلا، أبداً، إنها حقيقة أسمىٰ من البيع والشراء، إن اسـتخدام هـاتين اللـفظتين بشأن هذه الظاهرة إنما يأتي في سياق التحدث إلى الطفل بلغة الأطفال.

إننا لو نستقرئ هذه الظاهرة بشكل صحيح سـنخلص إلى أن الروح وبالتحاق الإنسان بميادين القتال الالهي الهـادف والتـقدم بـحرية نـحو حدود الموت إنما تتفوق على كل ما يجري في سـياق التـعامل وعـقد الصفقات بل أنها تستعيد طبيعتها على هذا النحو.

ان الانسان يغدو بالشهادة مثالاً لما قاله إفلاطون «مُت بالإرادة تحيَ بالطبيعة».

وهل لنا أن نصف تتمير «الحياة العقلانية». وتجاوز مـنحىٰ قـوانـين الطبيعة المتسلسلة، صفقة؟ إنه اندفاع الروح غريزياً نحو أصلها ومـنشأ وجودها.

٧ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بـالصبر والصـلاة إن الله مـع الصابرين* ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون* ولنبلونكم بشيء مـن الخـوف والجـوع ونـقص مـن الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصـابرين* الذيـن إذا أصـابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾[1].

التفسير:

خمس آيات متحدة السياق، متسقة الجمل، ملتئمة المعاني، يسـوق أولها إلى آخرها ويرجع آخرها إلى أولها، وهذا يكشف عن كونها نازلة دفعة غير متفرقة، وسياقها ينادي بأنها نزلت قبيل الأمر بالقتال وتشريع حكم الجهاد، ففيه ذكر من بلاء سيقبل على المؤمنين، ومصيبة ستصيبهم، ولا كل بلاء ومصيبة، بل البلاء العمومي الذي ليس بعادي الوقوع مستمر الحدوث. فإن نوع الإنسان كسائر الأنـواع المـوجودة فـي هـذه النشأة

١ ـ سورة البقرة، الآيات (١٥٣ ـ ١٥٧).

الطبيعية لا يخلو في أفراده من حوادث جزئية يختل بها نظام الفرد في حياته الشخصية من موت ومرض وخوف وجوع وغم وحرمان، سنّة الله التي جرت في عباده وخلقه، فالدار دار التزاحم، والنشأة نشأة التبدل والتحول، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والبلاء الفردي وإن كان شاقاً على الشخص المبتلىٰ بذلك، مكروهاً، لكن ليس مهولاً مهيباً تلك المهابة التي تتراءى بها البلايا والمحن العامة، فإن الفرد يستمد في قوة تعقله وعزمه وثبات نفسه من قوىٰ سائر الأفراد. وأما البلايا العامة الشاملة فإنها تسلب الشعور العمومي وجملة الرأي والحزم والتدبير من الهيئة المجتمعة، ويختل به نظام الحياة منهم، فيتضاعف الخوف وتتراكم الوحشة ويضطرب عندما العقل والشعور وتبطل العزيمة والثبات، فالبلاء العام والمحنة الشاملة أشق وأمرّ، وهو الذي تلوح له الآيات.

ولا كل بلاء عام كالوباء والقحط بل بلاء عام قربتهم منه أنفسهم، فإنهم أخذوا دين التوحيد، وأجابوا دعوة الحق، وتخالفهم فيه الدنيا وخاصة قومهم، وما لهؤلاء همّ إلّا إطفاء نور الله، واستئصال كلمة العدل، وإبطال دعوة الحق، ولا وسيلة تحسم مادة النزاع وتقطع الخلاف غير القتال، فسائر الوسائل كإقامة الحجة وبث الفتنة، وإلقاء الوسوسة والريبة وغيرها صارت بعد عقيمة غير منتجة، فالحجة مع النبي ﷺ، والوسوسة والفتنة والدسيسة ما كانت تؤثر أثراً يطمئن إليه أعداء الدين فلم يكن عندهم وسيلة إلّا القتال والاستعانة به على سد سبيل الحق، وإطفاء نور

الدين اللامع المشرق، هذا من جانب الكفر، والأمر من جانب الدين أوضح، فلم يكن إلى نشر كلمة التوحيد، وبث دين الحق وحكم العدل، وقطع دابر الباطل وسيلة إلّا القتال، فإن التجارب الممتدة من لدن كان الإنسان نازلاً في هذه الدار تعطي أن الحق إنما يؤثر إذا أميط الباطل، ولن يماط إلّا بضرب من أعمال القدرة والقوة.

وبالجملة ففي الآيات تلويح إلى إقبال هذه المحنة بذكر القتال في سبيل الله وتوصيفه بوصف لا يبقىٰ فيه معه جهة مكروهة، ولا صفة سوء، وهو إنه ليس بموت بل حياة، وأي حياة!

فالآيات تستنهض المؤمنين على القتال، وتخبرهم أن أمامهم بلاء ومحنة لن ينالوا مدارج المعالي، وصلاة ربهم ورحمته، والاهتداء بهدايته إلّا بالصبر عليها، وتحمل مشاقها، ويعلمهم ما يستعينون به عليها، وهو الصبر والصلاة، أما الصبر: فهو وحده الوقاية من الجزع واختلال أمر التدبير، وأما الصلاة: فهي توجه إلى الرب وانقطاع إلى من بيده الأمر وأن قوة لله جميعاً.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾، قد تقدم جملة من الكلام في الصبر والصلاة في تفسير قوله ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾[1]، والصبر: من أعظم الملكات والأحوال التي يمدحها

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (٤٥).

القرآن، ويكرر الأمر به حتى بلغ قريباً من سبعين موضعاً من القرآن حتى قيل فيه: ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾[١]، وقيل: ﴿وما يلقاها إلّا الذين صبروا وما يلقاها إلّا ذو حظ عظيم﴾[٢]، وقيل: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٣].

والصلاة: من أعظم العبادات التي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[٤]. وما أوصى الله في كتابه بوصايا إلّا كانت الصلاة رأسها وأولها.

ثم وصف سبحانه الصبر بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر، وإنما لم يصف الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة..﴾ لأن المقام في هذه الآيات، مقام ملاقاة الأهوال، ومقارعة الأبطال، فالاهتمام بأمر الصبر أنسب بخلاف الآية السابقة، فلذلك قيل: ﴿إن الله مع الصابرين﴾، وهذه المعية التي يدل عليه قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[٥]. فإنها معية الإحاطة والقيمومة، بخلاف المعية مع الصابرين، فإنها معية إعانة، فالصبر مفتاح الفرج.

قوله تعالى:﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء

---

١ ـ سورة لقمان، الآية (١٧).

٢ ـ سورة فصلت، الآية (٣٥).

٣ ـ سورة الزمر، الآية (١٠).

٤ ـ سورة العنكبوت، الآية (٤٥).

٥ ـ سورة الحديد، الآية (٤).

ولكن لا تشعرون﴾ ربما قال: إن الخطاب مع المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر وأذعنوا بالحياة الآخرة، ولا يتصور منهم القول ببطلان الإنسان بالموت، بعدما أجابوا دعوة الحق وسمعوا شيئاً كثيراً من الآيات الناطقة بالمعاد، مضافاً إلى أن الآية إنما تثبت الحياة بعد الموت في جماعة مخصوصين، وهم الشهداء المقتولون في سبيل الله، في مقابل غيرهم من المؤمنين، وجميع الكفار، مع أن حكم الحياة بعد الموت عام شامل للجميع فالمراد بالحياة بقاء الاسم، والذكر الجميل على مر الدهور، وبذلك فسره جمع من المفسرين.

ويرده أولاً: أن كون هذه حياة، إنما هو في الوهم فقط دون الخارج، فهي حياة تخيلية ليس لها في الحقيقة إلّا الاسم، ومثل هذا الموضوع الوهمي لا يليق بكلامه، وهو تعالى يدعو إلى الحق، ويقول: ﴿ فماذا بعد الحق إلّا الضلال﴾[1]، وأما الذي سأله إبراهيم في قوله ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾[2] فإنما يريد به بقاء دعوته الحقة، ولسانه الصادق بعده، لا حسن ثنائه وجميل ذكره بعده فحسب.

نعم هذا القول الباطل، والوهم الكاذب إنما يليق بحال الماديين وأصحاب الطبيعة، فإنهم اعتقدوا مادية النفوس وبطلانها بالموت ونفوا الحياة الآخرة، ثم أحسوا باحتياج الانسان بالفطرة إلى القول ببقاء النفوس وتأثرها بالسعادة والشقاء، بعد موتها في معالي أمور، لا تخلو في

---

١ ـ سورة يونس، الآية (٣٢).

٢ ـ سورة الشعراء، الآية (٨٤).

الارتقاء إليها من التفدية والتضحية، لاسيما في عظائم العزائم التي يموت ويقتل فيها أقوام ليحيىٰ ويعيش آخرون، ولو كان كل من مات فقد فات لم يكن داع للإنسان (وخاصة إذا اعتقد بالموت والفوت) أن يبطل ذاته ليبقي ذات آخرين، ولا باعث له أن يحرّم على نفسه لذة الاستماع من جميع ما يقدر عليه بالجور ليتمتع آخرون بالعدل، فالعاقل لا يعطي شيئاً إلّا ويأخذ بدله وأما الإعطاء من غير بدل، والترك من غير أخذ، كالموت في سبيل حياة الغير، والحرمان في طريق تمتع الغير فالفطرة الإنسانية تأباه، فلما استشعروا بذلك دعاهم جبر هذا النقص إلى وضع هذه الأوهام الكاذبة، التي ليس لها موطن إلّا عرصة الخيال وحظيرة الوهم، قالوا إن الإنسان الحر من رق الأوهام والخرافات يجب عليه أن يفدي بنفسه وطنه، أو كل ما فيه شرف، لينال الحياة الدائمة بحسن الذكر وجميل الثناء، ويجب عليه أن يحرّم على نفسه بعض تمتعاته في الاجتماع ليناله الآخرون، ليستقيم أمر الاجتماع والحضارة، ويتم العدل الاجتماعي فينال بذلك حياة الشرف والعلاء.

وليت شعري إذا لم يكن إنسان، وبطل هذا التركيب المادي، وبطل بذلك جميع خواصه، ومن جملتها الحياة والشعور، فمن هو الذي ينال هذه الحياة وهذا الشرف؟ ومن الذي يدركه ويلتذ به؟ فهل هذا إلّا خرافة؟

وثانياً: إن ذيل الآية ـ وهو قوله تعالى: ﴿ولكن لا تشعرون﴾ ـ لا يناسب هذا المعنىٰ، بل كان المناسب له أن يقال «بل احياء ببقاء ذكرهم الجميل، وثناء الناس عليهم بعدهم»، لأنه المناسب لمقام التسلية وتطييب

النفس.

وثالثاً: أن نظيرة هذه الآية ـ وهي تفسرها ـ وصف حياتهم بعد القتل بما ينافي هذا المعنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون...﴾[1]. ومعلوم أن هذه الحياة حياة خارجية حقيقية ليست بتقديرية.

ورابعاً: أن الجهل بهذه الحياة التي بعد الموت ليس بكل البعيد من بعض المسلمين في أواسط عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فإن الذي هو نص غير قابل للتأويل إنما هو البعث للقيامة، وأما ما بين الموت إلى الحشر ـ وهي الحياة البرزخية ـ فهي وأن كانت من جملة ما بيّنه القرآن من المعارف الحقة، لكنها ليست من ضروريات القرآن، والمسلمون غير مجمعين عليه بل ينكره بعضهم حتى اليوم ممن يعتقد كون النفس غير مجردة عن المادة وأن الإنسان يبطل وجوده بالموت وانحلال التركيب، ثم يبعثه الله إلى القضاء يوم القيامة، فيمكن أن يكون المراد بيان حياة الشهداء في البرزخ لمكان جهل بعض المؤمنين بذلك، وإن علم به آخرون.

وبالجملة: المراد بالحياة في الآية الحياة الحقيقية دون التقديرية، وقد عدّ الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبواراً في مواضع من كلامه، كقوله تعالىٰ: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات، فالحياة حياة سعادة والأحياء بهذه الحياة المؤمنون خاصة، كما قال:

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

٢ ـ سورة إبراهيم، الآية (٢٨).

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[1]، وإنما لم يعلموا، لأن حواسهم مقصورة على إدراك خواص الحياة في المادة الدنيوية، وأما ما وراءها فإذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه وبين الفناء فتوهموه فناء، وما توهمه الوهم مشترك بين المؤمن والكافر في الدنيا، فلذلك قال في هذه الآية: ﴿بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ أي بحواسكم، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ أي اليقين كما قال تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم﴾[2].

فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾، ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، وكما يعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسكم لاتنال ذلك ولا تشعر به، وإلقاء هذا القول على المؤمنين ـ مع أنهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الإنسان بعد الموت، وعدم بطلان ذاته ـ إنما هو لا يقاظهم وتنبيههم بما هو معلوم عندهم، يرتفع بالالتفات إليه الحرج عن صدورهم، والاضطراب والقلق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبة القتل، فإنه لا يبقىٰ مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل إلّا مفارقة في أيام قلائل في الدنيا وهو هيّن في قبال مرضاة الله سبحانه وما ناله القتيل من الحياة الطيبة،

---

١ ـ سورة العنكبوت، الآية (٦٤).

٢ ـ سورة التكاثر، الآية (٦).

والنعم المقيمة، ورضوان من الله أكبر، وهذا نظير خطاب النبي صلى الله عليه وآله بمثل قوله تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾، مع أنه صلى الله عليه وآله أول الموقنين بآيات ربه، ولكنه كلام كـنّي بـه عـن وضـوح المـطلب، وظهوره بحيث لا يقبل أي خطور نفساني لخلافه.

«نشأة البرزخ»

فالآية تدل دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية، كالآية النظيرة لها وهي قوله: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1] والآيات في ذلك كثيرة.

فمن أعجب الأمر ما ذكره بعض الناس في الآية: أنها نزلت في شهداء بدر، فهي مخصوصة بهم فقط، لا تتعداهم إلى غيرهم، هذا ولقد أحسن بعض المحققين من المفسرين في تـفسير قـوله: ﴿ واسـتعينوا بـالصبر والصلاة...﴾. إذ سأل الله تعالى الصبر على تحمل أمثال هذه الأقاويل.

وليت شعري مـاذا يـقصده هـؤلاء بـقولهم هـذا؟ وعـلى أي صـفة يتصورون حياة شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم بانعدام الإنسان بعد الموت والقتل، وانحلال تركيبه وبطلانه؟ أهو على سبيل الاعجاز باختصاصهم من الله بكرامة لم يكرم بها النـبي الأكـرم وسـائر الأنـبياء والمـرسلين والأولياء المقربين؟ إذ خصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام، فليس ذلك

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

بأعجاز بل إيجاد محال ضروري الاستحالة، ولا إعجاز في محال، ولو جاز عند العقل إبطال هذا الحكم على بداهته لم يستقم حكم ضـروري فما دونه أم هو على نحو الاستثناء في حكم الحس؟ بأن يكون الحس مخطئاً في أمر هؤلاء الشهداء؟ فهم أحياء يرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتعات وهم غائبون عن الحس، وما ناله الحس من أمرهم بالقتل وقطع الأعضاء وسقوط الحس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس، فلو جاز على الحس أمثال هذه الأغلاط، فيصيب في شيء ويغلط في آخر من غير مخصص بطل الوثوق به على الإطلاق، ولو كان المخصص هو الارادة الإلهية احتاج تعقلها إلى مخصص آخر. والإشكال وهو عدم الوثوق بالإدراك على حاله، فكان من الجائز أن نجد ما ليس بواقع واقعاً، والواقع ليس بواقع، وكيف يرضى عاقل أن يتفوه بمثل ذلك؟ وهل هو إلّا سفسطة؟[1]..

---

١ ـ تفسير الميزان، ذيل الآيتين.

٨ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيي ويميت، والله بما تعملون بصير* ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون* ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾[١].

التفسير:

استغلال المنافقين

كانت حادثة «أُحد» تحظىٰ بأهمية كبيرة من وجهة نظر المسلمين وذلك من جهتين:

أولاً: لأنها كانت تعتبر خير مرآة تعكس حقيقة المسلمين في تلك المرحلة وتساعدهم على رؤية نقاط ضعفهم، فإصلاحها وإزالتها، ولهذا السبب ركز القرآن على أحداث هذه الواقعة وملابساتها وقضاياها ذلك

١ ـ سورة آل عمران، الآيات (١٥٦ ـ ١٥٨).

التركيز الكبير وأولاها ذلكم الاهتمام البالغ، فنحن نرىٰ كيف نستفيد منها دروساً وعبراً كثيرة وكبيرة، في الآيات القادمة كما في الآيات السابقة.

ومن جهة أخرىٰ هيأت أحداث هذه الواقعة أرضية وفرصة مناسبة للمنافقين بأن يقوموا بمحاولاتهم التشوشية، ومن أجل هذا نزلت آيات عديدة لإبطال مفعول هذه المحاولات وإفشال هذه المساعي الماكرة، من جملتها الآيات المذكورة أعلاه.

فهذه الآيات تتوجه بالخطاب أولاً إلى المؤمنين بهدف تحطيم جهود المنافقين ومحاولاتهم التخريبية، وتحذير المسلمين منهم فتقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض، أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾.

هذه الكلمات وإن كانوا يطلقونها في ستار من التعاطف وتحت قناع الإشفاق إلّا أنهم لم يكونوا ـ في الحقيقة ـ يقصدون منها إلّا تسميم روحية المسلمين، وإضعاف معنوياتهم وزعزعة إيمانهم، فينبغي ألا تقعوا تحت تأثيرها، وتكرروا نظائرها من العبارات.

﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾.

إنكم أيها المؤمنون إذا وقعتم تحت تأثير هذه الكلمات المضلة الغاوية، وكررتم نظائرها ستضعف روحيتكم أيضاً، وستمتنعون أيضاً عن الخروج إلى ميادين الجهاد والسفر والرحيل من أجل الله وفي سبيله، وحينئذ سيتحقق للمنافقين ما يصبون إليه، ولكن لا تفعلوا، وتقدموا إلى سوح الجهاد وميادين القتال بمعنوية عالية، وعزم أكيد ودون تردد ولا

كلل، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوب المنافقين المخذلين، أبداً..

ثم إن القرآن الكريم يرد على تخبيث المنافقين وتسويلاتهم وتشويشاتهم بثلاثة أجوبة منطقية، هي:

١ ـ إن الموت والحياة بيد الله على كل حال، وأن الخروج والحضور في ميدان القتال لا يغير من هذا الواقع شيئاً، وأن الله يعلم بأعمال عباده جميعها: ﴿**والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير**﴾.

٢ ـ ثم إنكم حتى إذا متم أو قتلتم، وبلغكم الموت المعجل ـ كما يحسب المنافقون ـ فإنكم لم تخسروا شيئاً لأن رحمة الله وغفرانه أعظم وأعلى من كل ما تجمعه أيديكم أو يجمعه المنافقون مع الاستمرار في الحياة من الأموال والثروات ﴿**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**﴾.

وأساساً لا تصح المقارنة بين هذين الأمرين فأين الثرىٰ من الثريا، ولكنه أمر لا مفر منه عند مخاطبة تلك العقول المنحطة التي تفضل أياماً معدودة من الحياة الفانية وجفنة من الثروة الزائلة على عزة الجهاد وفخر الشهادة.

إنه ليس من سبيل أمام هؤلاء إلّا أن يقال لهم: إن ما يحصل عليه المؤمنون عن طريق الشهادة أو الموت في سبيل الله، أفضل من كل ما يجمعه الكفار من طريق حياتهم الموبوءة، المزيجة بالشهوات الرخيصة وعبادة المال والدنيا.

٣ـ وبغض النظر عن كل ذلك فإن الموت لا يعني الفناء والعدم حتى يخشىٰ منه هذه الخشية ويخاف منه هذا الخوف، ويستوحش منه هذا الاستيحاش، إنه نقلة من حياة إلى حياة أوسع وأعلىٰ وأجل وأفضل، حياة مزيجة بالخلود موصوفة بالبقاء ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾.

إن الجدير بالملاحظة في هذه الآيات هو جعل الموت في أثناء السفر، في مصاف الشهادة في سبيل الله، لأن المراد بالسفر هنا في تلك الأسفار التي يقوم بها الإنسان في سبيل الله ولأجل الله كالسفر وشد الرحال إلى ميادين القتال أو للعمل التبليغي، وذلك لأن الأسفار في تلك العصور كانت محفوفة بالمشاكل، ومقترنة بالمصاعب والمتاعب، وكانت تلازم في الأغلب الأمراض التي تؤدي في أكثر الأحيان إلى الموت، ولذلك لم يكن ذلك الموت بأقل فضلاً من القتل والشهادة في ميادين الجهاد وسوح النضال.

وأما ما احتمله بعض المفسرين من أن الأسفار المذكورة في هذه الآية هي الأسفار التجارية فهو بعيد جداً عن معنى الآية، لأن الكفار لم يتأسفوا قط لهذا الأمر بل كان هذا هو نفسه وسيلة من وسائل الحصول على الثروة وتكريسها، هذا مضافاً إلى أن هذا الموضوع لم يكن له أي تأثير في إضعاف روحية المسلمين بعد معركة أُحد، كما وأن عدم تنسيق المسلمين مع الكفار في هذا المورد لم يوجد ولم يسبب أية حسرة للكفار، ولهذا فإن الظاهر هو أن المراد من الموت في أثناء السفر في هذه

الآية هو الموت في السفر الذي يكون بهدف الجهاد فـي سـبيل الله، أو لغرض القيام بغير ذلك من البرامج الإسلامية[1].

---

١ ـ تفسير الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، ذيل الآية.

رأي العلامة الطباطبائي في تفسير الآيات السابقة:

التفسير:

الآيات من تتمة الآيات النازلة في خصوص غزوة أُحد أيضاً، وهي تتضمن التعرض لأمر آخر عرض لهم، وهو الأسف والحسرة الواردة في قلوبهم من قتل رجالاتهم وسراة قومهم، ومعظم المقتولين كانوا من الأنصار، فما قتل من المهاجرين على ما قيل إلّا أربعة، وهذا يقوي الحدس أن معظم المقاومة كانت من ناحية الأنصار، وأن الهزيمة أسرعت إلى المهاجرين قبلهم.

وبالجملة الآيات تبين ما في هذا الأسف والحسرة من الخطأ والخبط وتعطف على أمر آخر يستتبعه هذا الأسف والتحسر وهو سوء ظنهم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنه هو الذي أوردهم هذا المورد وألقاهم في هذه التهلكة كما يشير إليه قولهم على ما تلوح إليه هذه الآيات: ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا..﴾ وقول المنافقين فيما سيجيء: ﴿لو أطاعونا ما قتلوا..﴾ أي أطاعونا ولم يطيعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فهو الذي أهلكهم،

فهي تبين أنه صلى الله عليه وآله ليس له أن يخون أحداً بل هو رسول منه تعالىٰ شريف النفس كريم المحتد عظيم الخلق يلين لهم برحمة من الله، ويعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الأمر بأمر منه تعالى، وأن الله منَّ به عليهم ليخرجهم من الضلال إلى الهدى.

قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾، المراد بهؤلاء الذين كفروا ما هو ظاهر اللفظ، أعني الكافرين دون المنافقين ـكما قيل ـ لأن النفاق بما هو نفاق ليس منشأ لهذا القول ـوإن كان المنافقون يقولون ذلك ـ وإنما منشأه الكفر، فيجب أن ينسب إلى الكافرين.

والضرب في الأرض كناية عن المسافرة، وغزى جمع غاز كطالب وطلب، وضارب وضرب، وقوله: ﴿ليجعل الله ذلك حسرة﴾، أي ليعذبهم بها، فهو من قبيل وضع المُغَيّى موضع الغاية، وقوله ﴿والله يحيي ويميت﴾، بيان لحقيقة الأمر التي أخطأ فيها الكافرون القائلون: لو كانوا، وهذا الموت يشمل الموت حتف الأنف والقتل كما هو مقتضى إطلاق الموت وحده على ما تقدم، وقوله ﴿والله بما تعملون بصير﴾ في موضع التعليل للنهي في قوله: «لا تكونوا..».

وقوله: «ما ماتوا وما قتلوا». قدم فيه الموت على القتل ليكون النشر على ترتيب اللف في قوله: ﴿إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى﴾، ولأن الموت أمر جار على الطبع والعادة المألوفة بخلاف القتل فإنه أمر استثنائي فقدم ما هو مألوف على غيره.

ومحصل الآية نهي المؤمنين أن يكونوا كالكافرين فيقولوا لمن مات منهم في خارج بلده أو قومه، وفيمن قتل منهم في غزاة: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فإن هذا القول يسوق الإنسان إلى عذاب قلبي ونقمة إلهية، وهو الحسرة الملقاة في قلوبهم، مع أنه من الجهل، فإن القرب والبعد منهم ليس بمحيي ومميت بل الإحياء والإماتة من الشؤون المختصة بالله وحده لا شريك له، فليتقوا الله ولا يكونوا مثلهم فإن الله بما يعملون بصير.

قوله تعالى: ﴿**لئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خيرٌ مما يجمعون**﴾. الظاهر: أن المراد مما يجمعون هو المال وما يلحق به الذي هو عمدة البغية في الحياة الدنيا.

وقد قدم القتل ها هنا على الموت لأن القتل في سبيل الله أقرب من المغفرة بالنسبة إلى الموت، فهذه النكتة هي الموجبة لتقديم القتل على الموت، ولذلك عاد في الآية التالية: ﴿**ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون**﴾ إلى الترتيب الطبعي بتقديم الموت على القتل لفقد هذه النكتة الزائدة.

قوله تعالىٰ: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم..**﴾ الفظ هو الجافي القسي، وغلظ القلب كناية عن عدم رقته ورأفته، والانفضاض التفرق.

وفي الآية التفات عن خطابهم إلى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصل المعنى: فقد لانَ لكم رسولنا برحمة منا، ولذلك أمرناه أن يعفو عنكم ويستغفر لكم ويشاوركم في الأمر وأن يتوكل علينا إذا عزم.

ونكتة الالتفات ما تقدم في أول آيات الغزوة، أن الكلام فيه شوب

عتاب وتوبيخ، ولذلك اشتمل على بعض الإعراض في ما يناسبه من الموارد، ومنها هذا المورد الذي يتعرض فيه لبيان حال من أحوالهم لها مساس بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وآله، فإن تحزبهم لقتل من قتل منهم ربما دلهم على المناقشة في فعل النبي صلى الله عليه وآله ورميه بأنه أوردهم مورد القتل والاستئصال، فأعرض الله تعالى عن مخاطبتهم والتفت إلى نبيه صلى الله عليه وآله فخاطبه بقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾.

والكلام متفرع على كلام آخر يدل عليه السياق، والتقدير، وإذا كان حالهم ما تراه من التشبه بالذين كفروا، والتحسر على قتلاهم، فبرحمة منا لنت لهم وإلّا لانفضوا من حولك، والله أعلم[1].

---

١ ـ تفسير الميزان، ذيل الآية.

٩ـ ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾[١]

الكلام مسوق سوق الشرط، والحكم عام أي ومن قتل في سبيل الله وهو الجهاد والقتال مع أعداء الدين فلن يبطل أعمالهم الصالحة التي أتوا بها في سبيل الله.

وقيل: المراد بقوله: والذين قتلوا في سبيل الله شهداء يوم أُحد، وفيه أنه تخصيص من غير مخصص والسياق سياق العموم.

قوله تعالى: ﴿ سيهديهم ويصلح بالهم﴾ الضمير للذين قتلوا في سبيل الله فالآية وما يتلوها لبيان حالهم بعد الشهادة أي سيهديهم الله إلى منازل السعادة والكرامة ويصلح حالهم بالمغفرة والعفو عن سيئاتهم فيصلحون لدخول الجنة.

---

١ ـ سوره محمد، الآية (٤).

وإذا انضمت هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم﴾[1]، ظهر أن المراد بإصلاح بالهم إحياؤهم حياة يصلحون بها للحضور عند ربهم بانكشاف الغطاء.

وقال في المجمع، «والوجه في تكرير قوله: «بالهم» أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم في الدين والدنيا، وبالثاني أنه يصلح حالهم في نعيم العقبىٰ فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم».

والفرق بين ما ذكره من المعنى وما قدمناه أن قوله تعالى «ويصلح بالهم» على ما ذكرنا كالعطف التفسيري لقوله: «سيهديهم» دون ما ذكره، وقوله الآتي: «ويدخلهم الجنة» على ما ذكره كالعطف التفسيري لقوله «ويصلح بالهم» دون ما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿ ويدخلهم الجنة عرّفها لهم﴾ غاية هدايته لهم، وقوله «عرّفها لهم» حال من إدخاله إياهم الجنة، أي سيدخلهم الجنة والحال أنه عرفها لهم إما بالبيان الدنيوي من طريق الوحي والنبوة وإما بالبشرىٰ عند القبض أو في القبر أو في القيامة أو في جميع هذه المواقف. هذا ما يفيده السياق في المعنى[2].

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

٢ ـ تفسير الميزان، ذيل الآية.

١٠ ـ ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[1].

تلوح الآيات السالفة وعبارة «قضى نحبه» الدالة على الحركة السريعة والجادة في سياق الوفاء بالعهد، بقضية في غاية الأهمية قد يكفينا التنبه لها مؤونة استبانة المنزلة الشامخة للشهادة، وهذه القضية هي كون الشهادة في سبيل الله وفاء للعهد الذي قطعه بنو آدم مع الله على أنفسهم ويتضمن هذا العهد: لا تفنِ روحك التي وهبتُها إياك في سبيل الشهوات والأهواء الحيوانية، لا تحطّ من قيمة هذه الروح في سبيل حب المنصب والنفس.. إنك لا تتمتع بحق المساومة بروحك إزاء أي موضوع ترغب فيه. إن هذه الروح أمانتي استودعتها لديك فإياك أن تجعلها وسيلة لاتقاد وإحراق أرواح الآخرين من بني الإنسان. ينبغي أن لا تترك هذه الروح

١ ـ سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

مهملة ساكنة تنتظر الفناء بل يجب أن تحبو في كل يوم بمستقبل أكثر ازدهاراً من أمسها.. إن هذه الروح ملكي وعلى ذلك يتوجب مضيها إليّ، فالعدوان على هذه الروح عدوان ضدي.

والعدوان عليّ لا يلحق أذى بي بل أنه تضرير بالنفس بما يتعذر إصلاحه.. الشهيد إنسان احترم عهده ووفىٰ به فسار مضياً نحو مقامه الأخير[1].

---

١ ـ راجع تفسير نهج البلاغة، المجلد السادس، ص ٢٥.

فهرس بعض المصادر

١ ـ القرآن المجيد.

٢ ـ نهج البلاغة.

٣ ـ تفسير مجمع البيان للطبرسي.

٤ ـ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

٥ ـ تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٦ ـ الصحيفة السجادية.

٧ ـ بحار الأنوار.

٨ ـ منتهى الآمال.

٩ ـ نفس المهموم.

١٠ ـ الصحيفة العلوية.

١١ ـ تفسير نهج البلاغة.

١٢ ـ غرر الحكم ودرر الكلم.

١٣ ـ ميزان الحكمة.

١٤ ـ قصص الأبرار للشهيد مرتضىٰ المطهري.

١٥ ـ مجلة حراس الثورة (الفارسية).

١٦ ـ كتاب «الشهيد» للمطهري (قده).

١٧ ـ «سيد الشهداء» للشهيد عبد الحسين دستغيب (قده).

١٨ ـ تفسير نور الثقلين.

١٩ ـ ثواب الأعمال.

٢٠ ـكنز العمال.

٢١ ـصحيح مسلم.

٢٢ ـنهضة المهدي (عج).

٢٣ ـ النهضة التكاملية.

٢٤ ـجامع العباسي.

٢٥ ـسفينة البحار.

٢٦ ـفلسفة الشهادة.

٢٧ ـأعلام الورى للطبرسي.

٢٨ ـالقيم الأخلاقية.

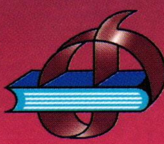
٢٩ ـالملحمة الحسينية.

٣٠ ـرياحين الشريعة.

٣١ ـمستدرك الوسائل.

الفهرس






للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: http://www.daralhadi.com

Designed by R .Sedik